TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190601

UNIVERSAL
LIBRARY

مجنون ليلى

تأليف

احمد شوقي بك

مطبعة مصر ١٩١١/٣١/١٠٠٠٠

الى صاحب السمو الملكى

الأمير فاروق ولى عهد الدولة المصرية

فاروقُ يا بنَ خَيْرِ أبْ ... وأرفعَ اسمٍ فى العرب
أهـدى الـيك والى ... أبـاءِ حيلِك المجُبْ
ومَنْ يلى حيلَك مِن ... نَسْءِ العدِ القَطْنِ الأرِبْ
الـكافلين الـسلـ ... ـمَ مِن مَنبعـ ـه الى المَصَبْ
الطـائرينَ كالنَّسو ... رِ لدّائرينَ كالشهُبْ
المالئينَ المُلْكَ من ... كـائبٍ ومن كُتُبْ
روايةَ من خُـلُقٍ ... مُهَذَّبٍ ومن أدبْ
بيانُهـا السهلُ الى ... بدائعِ الفُصحَى سَبَبْ
تُمثِّلُ اليـدَ على ... عهـدِ اميّـةَ النجَبْ
ولمحـةً من الحجا ... رِ وهو فى عصرِ الذهبْ
فى حاهليّـةٍ على ... نَظْمٍ من الخُلْقِ عَجَبْ

تَفيضُ من بُطولة ومن قوافٍ وخُطَبْ
ألبَسها « مُحَمَّدٌ » ثوبَ الحصارة القشِبْ
أصلح من بُنيانِها وشدّه من الطُّنُبْ
ما كان من حيرٍ بها أقام ، أو شرٍّ ذهبْ

تمهيد

زمن الرواية :

صدر الدولة الأموية

مكان الرواية :

بادية نجد

أشخاص الرواية :

قيس — مجنون ليلى

ليلى

المهدى — أبو ليلى

ورد — زوج ليلى

ابن عوف — أمير الصدفات فى الحجاز وعامل من عمال بنى أمية

رياد — راوية قيس وصديقه

منازل — غريم قيس فى حب ليلى

بشر — رجل من بنى عامر

ابن ذريح — شاعر من شعراء الحجاز

نصيب — كاتب ابن عوف

سعد — رجل من بني عامر

الغريض — مغن مشهور

ابن سعيد — شاعر

أمية — رفيق ابن سعيد

الأموى — شيطان قبس

عصرفوت
هبيد
عسر
عاصف — شياطين

بلهاء — جارية قيس

عفراء — جارية ليلى

سلمى
هند
عبله — فتيات من بني عامر

رحال — قوافل — حداة — صبية — فتيات

الفصل الأول

« ساحة أمام خيام المهدى فى حى بنى عامر — مجلس من مجالس السمر فى هذه الساحة — فتية وفتيات من الحى يسمرون فى أوائل الليل ، وفى أيدى الفتيات صوف ومعازل يلهون بها وهم يتحدثون — تخرج ليلى من خيام أبيها عند ارتفاع الستار ويدها فى يد ابن ذريح »

ليلى . دعى الغزْلَ سلمى وحَيِّنى معى
منارَ الحِجازِ فتى يَثْرِبِ (١)

« تصافحه سلمى »

ويا هِنْدُ هـذا أديبُ الحِجارِ
هلمِّى نَـــقدَمِه رَكْبى

« تصافحه هند ويحتفى به السامرون »

سعد : أمِن يَثْرِبٍ أنت آت ؟
ابن ذريح: أحل من البلدِ القُدُسِ الطيّب
ليلى : أيا بنَ ذريحٍ لقينا الغمام

---

(١) يثرب ــ المدينة المنورة

هنـد : وطافَتْ بنا نَفَحاتُ النبي

« عله — هامسة الى سعد »

مَن ابنُ ذَريحٍ ؟

سـعد : فـــتًى ذِكرُه

على مَشرِق الشمس والمغرب

رَضيعُ الحُسَيْنِ عليـه السلامُ

وتِرْبُ الحُسَيْنِ من المكتبِ

« عله — الى بشر ومشيرة الى ابن ذريح »

أتسمعُ بشرُ رضيعُ الحُسَيْنِ

فديتُ الرضيعيْنِ والمُرضِعـهْ

وأنت إذا ما ذكرنا الحسينَ

تصامتَ !

« بشر — هامسا ومسلما كأنما يخشى أن يسمعه أحد »

لا حاهلاً مَوْضِعهْ

ولكن أخاف أمراً أن يرى عليَّ التشيُّعَ أو يَسمَعَه

احبُّ الحسينَ ولـكنما لسانى عليـه وقلبى معه !
حَبَسْتُ لسانىَ عن مدحه حِذارَ أُميّـَ أن تقطعَه
إذا الفتنةُ اضطرمتْ فى البـلاد
ورُمْتَ النجـاةَ فـكُن إمّعَهْ !

ليـلى : إبنَ ذريحٍ نحن فى عُزْلةٍ فهل على مُستفهِمٍ منك باس؟
دارُ النبىّ كيف خلّفتَها ؟
كيف تركتَ الأمرَ فيها يُساسْ

ابن ذريح: تركتُها ياليـلَ مَضبوطةً يحكُمُها والٍ شديدُ المراسْ
إن حـديثَ الناس فى يثربٍ
همسٌ وخطوَ الناس فيها احتراس

ليـلى : إبن ذريح لا تَجُرْ واقتصِدْ أحلامُ مَرْوانَ جبالٌ رَواسْ
يؤسِّسُون المُلْكَ فى بيتهم
والعُنْفُ والشـدةُ عند الأساس

« تتضاحك الفتيات وتقول احداهن لأخرى »

فتاة : ليـلى على دينِ قيسٍ فحيتُ مال تميـــــلُ ؟

وكلُّ ما سرَّ قيســـــا فعنـــــد ليلى جميلُ

ابن ذريح: ما الذى أضحـك منى الظّبياتِ العـــامريّهْ
ألأنى أنا شِـــيعِىٌّ وليلى أُمَـــــويَّهْ ؟
إختلافُ الرأى لا يُفْسِـــــدُ للود قضـــيه

ليـلى : أعِرْنى سماعَكَ يابنَ ذريحٍ ولا تسمَعِ الطفلةَ الهاذيهْ
أتَيْتَ لنا اليومَ من يثْربٍ فكيف ترى عالَمَ الباديه
أكنتَ من الدور أو فى القصور
ترى هـــذه القُبَّةَ الصافيه ؟
كأن النجومَ على صـدرهـا
قلائدُ ماسٍ على غانيـــــــه

هنـد : كفى يابنةَ الخال ! هذا الحريرُ
كبيرٌ على الرمَّة الباليـه
تأمَّلْ ترَ البيـدَ يا بن ذريحٍ
كمقـبرةٍ وَحْشَةٍ خاويه
سئمنا من البيد يابن ذريح ومن هـذه العيشة الجافيه

ومن مُوقدِ النارِ فى مَوْضِعٍ

ومن حالب الشاة فى ناحيـــــه

وراغيـــــــةٍ من وراء الخيام

تُحيبُ من الكَلأ الثاعيه (١)

وأنتم بيثربَ أو بالعراق أو الشام فى الغُرَف العاليه

مُغَنِّيكمو مَعبَدٌ والغريضُ وقَيْنُنا الصَّبُعُ العاويه

وقد تأكلون فُنونَ الطهاةِ وتأكل ما طَهَتِ الماشيه

ليلى : قد اعتَسَفَتْ هندُ يا بنَ ذريحٍ

وكانت على مَهدها قاسيه

فما البيـــد الا دِيارُ الكِرامِ

ومَنزلةُ الذَّمِّ الوافيـــه

لها قُبْلةُ الشمس عند النُزوغ

وللحَضرِ القُبلةُ الثانيه

ونحن الرياحينُ مِلْءَ الفضاء وهنَّ الرياحينُ فى الآنيه

(١) الراغية : الناقة والثاغية : الشاة

ويقتُلُنا العشقُ والحاضراتُ يَقُمْنَ من العشق فى عافية
ولم نصطَدِم بهموم الحياةِ ولم ندرِ لولا الهوى ما هيه
وآنا نحف لصَيْد الظباء وآنا الى الأُسد الصارية

« هند — ساحرة »

وفى كل ناحيةٍ شاعرٌ يغنِّى لليلاهُ أو راويه

« تحاول ليلى أن تمد رحلها فتتألم وتستغيث »

ليلى : قيسُ ، إلىَّ قيس

هند : ما دهاكِ ليلى ما الخبرْ

ليلى : أحس رحلى حدِرت حتى كأنها الحَجَرْ

هند : قد صحتِ قيسُ مرتين

ليلى : أو ثلاثا ما الضرر

هند متهكمة : اسم الحبيبِ عندنا نذكره عند الخدر (١)

ليلى : هند كفى دعابة إن هو الا اسمٌ حصر

« لنفسها »

(١) حدرت الرحل : نملت

يا قيسُ ناجَى باسمك القلبُ اللسانَ فعثَر

عبلة ضجرة : أماسوى هذا الحديث شاغلُ ؟

كيف طلِلْتَ اليومَ يا منازلُ ؟

« منازل — ضاحكا »

منازلُ اليومَ كأمس هازلُ بشرَبُ أو يطْعَمُ أو يغازلُ!

هند : بخٍ ! كذا فلتكنِ الحياةُ مُت يابعيرُ وابقُقى يا شاهْ

آنغمست فى الترف الرعاةْ !

ليلى : وكيف طلِلت اليوم سعدُ ؟ أهارلٌ

كبترك أم فى صالِح ورشادِ !

سعد : بل الحدثْ ياليلى سيلى وديْدنى

حياتى بِوادٍ والمُجونُ بواد

صحبتُ زيادا طول يومى تلقفا

لأشعار قيس من لسان زياد

وإنَّ زيادا — منذ كان — لرائحٌ

علينا بشعر العامرىّ وعاد

ولولا زيادٌ ما تمثّل حاضرٌ بأشعار قيسٍ أو ترنم باد

« يبدو على ليلى شيء من الزهو فتتهامس الفتيات »

سلمى : انظرى هند ترىْ ليلى اكتست زهواً وكبرا
وتعالت كابنة النعمان أو كابنة كسرى !

هند : لِمَ لا سلمى ، ألم يرْ وَعْ لها المجنونُ ذكرا ؟

عملة : لِمْ إذن يا هندُ من قيسٍ ومما قال تَبرا ؟

هند : عَبَثُ السِّوة إنا نحن بالسوة أدرى !

سلمى : سلوا الآن بشرا فيم أنفق يومه ؟

« أصوات » سلوه

هند : سلى ياليلَ عن يومه بِشرا

ليلى : وهَل يومهُ الا شؤونٌ كأمسه من الصيد ؟

هند : إن الصيد لذته الكبرى

بشر : نعم هو ملهاىَ الذى لا أمَلّه
ولا النفسُ تُعطَى عن تناوله صبرا

ولو كان عيشى فى قصـــور أميّـةٍ
لعَلّمتُ فنَّ الصيـــد فتيانهَا الزهرا
وما أنا صيَّادُ الأرانبِ مثلَهم
ولكن على حيّاته ألِجُ القفـــرا

ليـلى : إذن هاتِ واصدُقْ بشرُى القول مرّةً
ولا تخترعْ أو تَبنِ من حَجَرٍ قصرا !

بشر : دعى عنكِ هـذا السُّخْرَ ياليلَ واسمعى
ليـلى : تحدّثْ فـلا واللهِ لم أَصْمِرِ السُّخْرا

بشر : ذكَرتُ كدأبى اليومَ أبعى قنبصةً
ومَن يتصيّدْ يحسبِ الغُنمَ والخُسرا
(رأيت غزالا يرتعى وَسطَ روضـة
فقلت أرى ليلى تَراءت لنا ظُهرا) (١)

« هند — مشيرة الى ليلى »
وأىَّ الليـــالى بشرُ آنست ؟ هده

بشر : إذاشئت — أوهاتيكِ — أوحُرةً أخرى

(١) الأبيات التى بين الأقواس من شعر قيس

فقلتُ له ياظـــــبيُ لا تخشَ حادثا
(فانك لى جارٌ ولا ترهب الدهرا)
(فما راعنى الا وذئبٌ قـــــد انتحى
فأعلق فى أحشائه الناب وَالظُّفرا)
(ففوّقتُ سهمى فى كَتومٍ غمستُها
فخالط سهمى مهجةَ الذئبِ والنحرا)

ليلى صاحكة : أخى بشرُ لا شُلت يمينُك من يدٍ
ولا فَضَّ فاك الصبحُ والليلُ ما كرّا
سمعنا بإقـــــدام اللصوص وفتكهم
فلم نر أدهى منك فتكا ولا أجرا !
ووالله لم تعصب لطِـــــبي ولم تثبْ
بذئب ولم تُعمِلْ خيـالا ولا فـكراً
أخذتَ فلم تترك لقيسٍ بصاعـةً
سرقتَ لَعمرى الظبيَ والذئبَ والشعرا !

« ضحك من الجميع »

حديثُ الظبيِ والذئبِ وقيسٍ لستُ أنساه
زيادٌ عنه نبّاني ولا ينبيك إلاه
رأى قيسٌ على رابيـة ظبيا فناداه
فألقى الظبيُ أذْنيهِ ومسّ الأرضَ قرناه

« ثم تقول فى لوعة وصوت مخفوض وكأنما تحدث نفسها »

بروحى قيسُ! هل راحت طباء القاع تهواه ؟
وهل يَرْثى له الريمُ ولا أرثى لبلواه

« تسترسل فى حديثها الأول : »

على فيه من العُشْبِ بقايا صبغت فاه
رأى فى جيده قيسٌ وفى عينيه ليلاه
فبينا هو فى الشوقِ وفى نشوة ذكراه
حبا الذئبُ من الوادى الى الطبى فأرداه
تعدّى بحَشا الظبى غَداءً ما تهنّاه
رماه قيس فى المقتل بالسهم فأصماه

« بشر : مندفعا بحماسة ! »

أجل ياليلَ ! ما قلتِ سوى شيءٍ شهِدناه
وإن لم تذكرى القبرَ ولا كيفَ خططناه
حفرنا القبرَ للظبيِ وقمنـــــــا فدفناه
وصلَّينا على الميْتِ وبالدمع سقيناه
فقولوا ولتقل ليلى معى يرحمُه الله !

« أصوات بين الضحك والسخرية »

أجل بشرُ !

أجلْ بشرُ !

أجل يرحمه الله !

ابن دريح: بشرُ كفى هرلا وتخليطا كفى
ويابنةَ العم مضى الليلُ سُدى
أرسلنى قيسُ فلو أخـــبرتنى
متى مـنى بأمر قيسٍ يُعتنى ؟
بتنا نخـــافُ أن يجِلَّ خطبُه
وتبلغَ البـــلوى بقيسٍ المَدى

وقيسُ يالِيلى و إن لم تجهلى زين الشباب وابنُ سيدالحمى
لم ندرِ فى حيِّك أو فى حيِّه فتى حكاه سبا ولا غنى
ولا حمالا ، وهنا (ياليلَ) ما ترينَ أنت لا الذى نحن نرى

بشر ساخرا : بخٍ بخٍ ! ابنُ ذريح حاطبٌ

ابن ذريح : أسكت فلست للمروءات أخا !

ليلى عاضبة : فيم هذا الكلامُ يابن ذريح ؟

ابن ذريح : إتقى اللهَ واقصِدى فى التجنى

ليلى : ما تحنّيت

ابن ذريح : بل ظلمت ، دعيى
أحسِ الذَّودَ عن صدبقى وخِدنى

ليلى : أنا أَوْلى به وأحنى عليه لو يُداوَى برحمتى والتحنّى

يعلمُ الله وحده ما لقيس
من هوًى فى حوانحى مستكِن
إننى فى الهوى وقيسا سواءٌ
دَنٌّ قبس من الصبابة دَنّى

أنا بين اثنتين كلتاهما النا ر فلا تَلْحَنى ولكن أعِنِّى

بين حرصى على قَداســـة عرضى

واحتفـــاظى بمن أُحبُّ وصى

صنتُ منذ الحداثة الحبَ جَهدى

وهْو مستهترُ الهـوى لم يَصُنِّى

قد تغنى بليـــــلة العَيْلِ ، ماذا

كان بالغيـل بين قبس و بينى ؟

كل ما بيننا سـلامٌ وردٌّ بين عين من الرفاق وأُذن

وتسمّتُ فى الطريق إليه ومضى شأنه وسرتُ لشأنى

« تهيب بالسامرين وقد بلغ بها الغضب أقصاه »

أوْعل الليلُ فلنقمْ

ابن ذريح — متوسلا »

بل رويدا واسمعى (ليلَ)

ليـلى : خل عنّى دعنِى !

« تدخل خباءها بينما يغص السامرون فلا يتثاقل منهم فى القيام »

« الا مارل — الهرج والأسف يسودان الجميع »

قد تغنى بليـــلة الغيـــل ماذا كان بالعيل بين قيس وبيى ؟

(صفحة ١٤)

بشر : انفضَّ سامرُ ليلى وكان حَفْلا كريما

سعد : قد فَضّه ابنُ ذريح ففض عِقدا نظيما

أثار ليلى فهاجت كما تنفّر رِيما

تُرى أتُبغِضُ قيسا

ابن ذريح : لا تقلبوا الحبَّ بغضا

ليلى العشيةَ عصبى ويُصبح الصبحُ ترضى

سعد : أنعم (مُنازِ) مساءً

منازل : نُعِمتَ سعدُ مساءً

هند : بشرُ مُسِّيتَ بخيرٍ

بشر : أنعمى هندُ مساءً

هند . نحن يحوينا طريقٌ فامضِ بلغّى الخِباءً

سعد — صاحكا

احذرى يا هند منه !

هند : أنا لا أخشى اعتداء

قد عرفتم وعرفنا كيف يصطاد الظباء !

« تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بينما يظهر »
« قيس وزياد من جانب المسرح الآخر »

قيس . سجا الليل حتى هاج لى الشعرَ والهوى
وما البيدُ الا الليلُ والشعرُ والحبُّ
ملأتَ سماءَ البيدِ عشقا وأرضَها
وحُمِّلتُ وحدى ذلك العشقَ يارب
ألمّ على أبيات ليلى بىَ الهوى
وما غيرَ أشواقى دليلٌ ولا ركبْ
وباتت خيامى خُطوةً من خيامها
فلم يشفنى منها جوار ولا قرب
إذا طاف قلبى حولها جُنّ شوقُه
كذلك يُطْغِى الغُلةَ المنهلُ العذب
يحن اذا شطت ويصبو إذا دنت
فياويح قلبى كم يحن وكم يصبو
وأرسلنى أهلى وقالوا امض فالتمس
لنا قبسا من أهل ليلى وما شبوا

عفا الله عن ليلى لقد نؤتُ بالذى
تحمّلَ من ليلى ومن نارها القلب

« منازل — وقد سمع همهمة الصوت ورأى شبحيهما فى الظلام »

أرى شبحا مقبلا فى الظلام وأسمع همهمة فى الدجى
هو ابن الملوَّح دل الهُزالُ عليه وممّ اضطراب الخُطا
عدوى المبين وما بيننا ولا بين صاعِيتَيْنَا (١) حفا
روى شعرَه البدو والحاضرون وشعرىَ لبس له من روى
وهام بليلى وهامت به لقد كنت أولى بهذا الهوى
تشرَّد مستعطَما فى البلاد وجُنّ فما ارداد الا بُهى
وإنى لأُبدى الـه الوداد وأخفى له فى الضلوع القِلى
وأحسُدُه حسداً ما علمت أقدسُ الشـقى به أم أنا

« يتقدم منهما خطوات »

مَن الراكبُ الليلَ ؟ قيسٌ أخى ؟

قيس . منـازل ؟ ما أعجبَ الملتقى !

---

(١) صاعية الرحل قومه

منازل : أقيساً أرى فى طلال البيوت ؟
وعهدى بقبس حلبفَ الفلا

قيس : منازل ، من أين ؟

منازل : من عندها من السمر الممتع المنتهى

قيس ـ حنقا : أمن عند ليلى نحرُّ الذيول
حديث لعَمرُ أبى مفترى

منازل : بل الصدقُ ما قلتُ يا ابن الملوَّح

قيس : إحساً متى قلت صدقا متى ؟
وما كنت تصنع ؟

منازل ـ ساخرا : ما يصنعون لهوت لعمرىَ فيمن لها
وسامر ليلى كثير الزِّحام فلست تعدُّ شباب الحِمى
وليلى تُفيضُ على من تشاء رضاها ويحرمُه من تسا

زيادمغضبا: منازل ، قيسُ ، سبيلكَ قيس !
وكِلْ لىَ تأديبَ هذا الفتى

« منازل — وقد أخذ بلابيبه »

تؤدبُنى زيادُ وأنت طل لمحنون وراوية لهادى

وتُزْعمُ أننى نِدٌّ لقيس

رضِيت من المصائب غيرَ هذى !

زياد : من قال ذا ؟ أنت لقيس نِدْ

لم يبق فيكِ ياحيـــــاةُ حِدُّ

إمضِ بنا ناحيـةً يا وغد !

« يجره الى حيث تسمع أصواتهما من بعيد ثم تختفى »

« فيقبل قيس على حماء ليلى وينادى »

قيس : ليلى !

« المهدى : خارجا من الخباء »

من الهـاتف الداعى ؟ أقيسَ أرى ؟

ماذا وقوفُك والفتيان قد ساروا

قيس خجلا : ما كنتُ ياعمُّ فيهم

المهدى : دهشا : أين كنت إذن ؟

قيس : فى الدار حتى خلَتْ من نارنا الدار

ما كان من حطب جزْلٍ بساحتها

أوْدى الرياحُ به والضيفُ والجار

المهدى مناديا : ليلى ـ انتظر قيس ـ ليلى

« ليلى ـ من أقصى الخباء »

ما وراء أبى ؟

المهدى : هذا ابن عمّك ما فى بيتهم نار

« تظهر ليلى على باب الخباء »

ليلى : قيس ابن عمى عندنا يا مرحبا يا مرحبا
قيس . مُتّعتِ ليلى بالحيا ة وبلّغتِ الأربا

« ليلى : تنادى جاريتها بينما يختفى ابوها فى الخباء »

عفراء

« عفراء ملبية نداء مولاتها : »

مولاتى

ليلى : تعالَىْ نقضِ حقا وجبا
خذى وعاء واملئيه لابن عمى حطبا

« تخرج عفراء وتتبعها ليلى »

قيس : بالروح ليلى قضت لى حاجةً عرضت
ما ضرها لو قضت للقلب حاجاتِ

مصت لأبياتِها ترتاد لى قبسا
والنار يارُوحَ قيسٍ ملء ابياتى

كم جئتُ ليلى بأسباب ملفقة
ما كان أكثر اسبابى وعلاتى

« تدخل ليلى »

ليلى : قيس

قيس : ليلى بجانبى كلُّ شىء إذن حضرْ

ليلى : جمعتنا فأحسنت ساعةٌ تَقْضُلُ العُمُرُ

قيس : أتجدِّين ؟

ليلى : ما فؤا دى حديدٌ ولا حجر
لك قلبٌ فسله يا قيـ س ينبئكَ بالخبر
قد تحملتُ فى الهوى فوق ما يحمل البشر

قيس : لستُ لـــــيلاى داريا كيف أشكو وأَنفجِر ؟
أشرح الشوقَ كله أم من الشوق اختصِر ؟
نبّئى قيس ما الذى لك فى البيد من وطر ؟
لك فيهـــــا قصائدٌ جاوزَتها الى الحضَر
كلُّ ظـــــبىٍ لقيتَه صُغت فى جيده الدرر
أترُى قد سلوْتنـــــا وعشقتَ المهَا الأُخر ؟

قيس : غِرتِ لِيـــــلى من المها والمهـــــا منك لم تَغَر
حبّب البيدَ أنهـــــا بكِ مصبوغةُ الصُّوَر
لستِ كالغيـــــدِ لاولا قمر البيـــــد كالقمر

« ليلى : وقد رأت النار تـكاد تصل الى كم قيس : »

ويحَ عيـــــنىَّ ما أرى قيس !

قيس : ليلى

« ليلى : مشفقة » : خذ الحذر !

« قيس : غير آبه الا لما كان فيه من نجوى »

رُبَّ فجر سألتُه هل تنفست فى السحر
ورياحٍ حسبتُها حرّرَت ذيلَكِ العطِر
وغزالٍ جُفونهُ سرقت عينكِ الحوَر
ليلى : اطرح النارَ يافتى امت عادٍ على خطر
لهبُ النار قيسُ فى كمك الأيمن انتشر

« قيس : مستمر بعد أن رمى النار من يديه : »

وذئابٍ أرقّ ياليلَ من أهلك الغُيُ
أنستْ بى ومرّغت فى يدى الناب والظفُر
ليلى : ويح قيسٍ تحرقت راحتاه وما شعَرَ
قيس : انت أججتِ فى الحشَا لاعجَ الشوقِ فاستعَرْ
ثم تخشينَ جمرةً تأكلُ الجلد والشعَرَ

« يترنح قيس فى موقفه وتظهر عليه بوادر الاغماء » :

ليلى : فداكِ أبى قيس، ماذادَهاكَ؟ تكلم، أبن قيس، ماذا تجد
قيس : أحسُّ بعينىّ قد غامتا وساقىّ لا تحملان الجسدْ

« يخر صريعاً الى الأرض فتتلقاه على صدرها صارخة »

ليـلى : يا لِأبى للجارْ قيسٌ صريعُ النارْ مُلقىً بصَحن الدارْ !

« يخرج أبوها من الحماء على صوت استغاثتها »

أبى ها أنت ذا حئت أغثنـــا أتت أدركْ
لقد حُرِّق بالنـــار فما يصحـــو إذا حُرِّكْ

المهدى : يرانا الناسُ ياليـــلى

ليـلى : أبى انف الناسَ من فكرك

هنـا لا تقعُ العـــيْنُ على عـيرى ولا غـيرك
ولا يَطْلُعُ إنســـانٌ على سرى ولا سِرك
ولا أجـدرُ من قيس باشـــفاقك أو برك
أبى صـــدرىَ لايقوى فأسـندْه الى صـدرك

« المهدى — وهو يلقى عنها حسد قيس ويحاول اغاثته »

رعاك اللهُ ياليـــلى وكافاك على صـــبرك
أخافُ الناسَ فى أمرى واخشى القلبَ فى أمرك
وكم داريتُ ياليـــلى وكم مهّدْتُ من عـذرك

أبي ها أنت ذا حثت أغثنا أنت أدرك

(صفحة ٢٥)

ولست الوالدَ القـــاسى ولا الطامعَ فى مهرك

« ياحى قيسا فى غيبوبه »

آنا المهـــدىّ عوفيتَ ويا بورك فى عمـــرك

أرانى شـــعرُك الويلَ وما أرْوى سوى شعرك

كما لَدّ على الكُره كلامُ الله للمشرك !

« سحرك قيس ويبدو عليه كأنما يفيق فيبادره »

قيس

« قيس — يحاول الوقوف فيسنده ليلى »

لبَّيك عمّ

المهدى : حسبُك فادهبْ لا تطأ لى بعد العشيّةِ دارا

ليلى : آتى لا تَجُرْ على قيس

المهدى : لمْ لا إن قيسا على القرابةِ حارا

ليلى : أنى ما نراه كالغَنَن الذا

وى نُحولا وكالمَغيب اصفرارا ؟

وتأملْ رداءَه ويديْه تجد النارَ أو ترَ الآثارا

أبتى دَعْه يَسترحْ

المهدى : بل دعينا

لا نزيدى يا لبلَ سُخطى انفجارا

قيس : حسبُ ياليلَ ، حسبُ دلا لعمّى

وكفى حِلفةً له واعتـــــذارا

عمٌ مادا جنيت ؟

ليـلى : ماذا جنى قيس

المهدى : سيتَ الرُّواةَ والأخبـــارا

فبس : إنهم يأفكون يا عمِّ

المهدى : والغَيلُ أليلاً غَشيتَه أم نهـارا ؟

ما الذى كان ليلة الغَيْل حتى

قلتَ فيها النّسيبَ والأشعارا ؟

قيس : لم تكنْ وحدَها ولا كنتُ وحدى

إنما نحن فِتيـــــــةٌ وَعذارى

جمعْتنا حمائلُ الغيل بالليل كما يجمعُ الحمى السُّمّار

ليسَ غيرَ السلامِ ثم افترَقنا ذهبتْ يَمنةً وسِرتُ يسارا

المهدى : إمض ياقيس إمض لا تكسُ ليلى

كلَّ حينٍ فصيحةً وشنَارا

فكأنى بقصة النار تُروى وكأنى بذلك الشعر سارا

وكأنى ارتديتُ فى الحى ذلا وتجللتُ فى القبائل عارا

إمض قيس امضِ

قيس : عمٌّ رفقا بليلى و بقيسٍ ولا تكس حمارا

الحذَارَ الحِذَارَ من غضب الله ومن سُخطه الحذار الحذارا

المهدى : إمض قيس امض جئت تطلب ناراً

أم تُرى جئت تُشعلُ البيتَ نارا ؟

« يخرج قيس »

« ستـــــــــار »

الفصل الثاني

« طريق من طرق القوافل بين نجد ويثرب ، على مقربة من حي بني عامر حيث »
« تندو مضارب هذا الحي على مدى البصر وعلى سفح جبل الوباد ـ قيس وزياد »
« جلوس الى جذع نخلة ، يستشرفان شيحا يسير نحوهما »

قيس : زياد ما نالك ؟ مَن الجُوَيْريهْ ؟
أتلك (بلهاء) ؟

زياد : أجَل قيس هَمَهْ

« تظهر بلهاء وعلى رأسها قصعة »

قيس : بلهاء كيف الحيُّ ؟ كيف أميَـه ؟

« بلهاء — وهي تصع القصعة »

تسـأل عنكَ كما سـألتَ

« تندو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه »

زياد : بالله ياقيسُ إلا أكلت

« يشند ميل قيس عن الطعام »

بلهاء هامسة لزياد : زيادُ ما داق قيسٌ ولا همّـا

زياد : طبخُ يدِ الأمِّ يا قيسُ دُقْ مِمّا
الأمُّ يا قيسُ لا تطبُخُ السَّمَّا

« ينزع عن القصعة غطاؤها »

تعالَ تأمّلْ قيسُ ، تلكَ ذبيحةٌ

قيس : عسى اليومُ بحرٌ

زياد : أين لحنٌ من الأضْحى ؟

قيس : أرى صُنعَ أمي يازيادُ ، فَدَيتُهَا
بروحي وإن حمّلتُها الهمَّ والبَرْحا

سنحبرنا الليلها .

زياد : للهـــــــاء تَنَحّى
ولاتكسمي عنا الحديثَ ولا الشرحا

للهاء . لقد مرّ عرّاف اليمامةِ بالحمى
فما راعنـــــــا الا زيارتُه صُبحا

طوى الحيّ حتى جاء عن قيسَ سائلا
وأطهرَ ما شاءَ المودّةَ والنُّصحا

ولاحت له شاةٌ حَثُومٌ بموضعٍ
تخيّلُها ظلا من الليل أو جُنحا

فقال اذبحوا هاتيك فالخير عندَها
فقام اليها يافعٌ يُحسِنُ الذّبْحا

فقال انزعوا من جُثّة الشاةِ قلبَها
فلم يألُ قلب الشاة نزْعا ولا طرْحا

فلما شويناها رَمَى بعزائمٍ
عليها وألقى فى حوانيها الملْحا

وقال اطلبوا قبساً فهذا دواؤه
كأنى به لما نناوله ضَحّا

زياد : يعلّلُ قيسُ بالشاة عساها تُذهبُ الحُبّا
فما العرّافُ بالمجهو ل لا علماً ولا طبّا
ولم تَعلَمْ عليه اليد تدحيلا ولا كذْبا
طبيبٌ جرّبَ الناسَ فى الصحراءِ والرَّطْبا
فذمْ قيسُ ولا ترتبْ بما قال وما نبّا

وتلك الأمُّ ياقيس أطِعْها تطِعِ الربَّا

قيس : زياد اسمعْ وكن عونى وخلِّ اللومَ والعَتبـــا
إذا ما لم يكن بُـدٌّ فانى آكُلُ القلبـا

زياد : قيسُ يبغى القـلبَ يابلـــهاء أين القلب أينـا ؟

بلهاء : هو عندى ويســـيرٌ ما اشـتهى قيسٌ علينا
هو فى السناه

زياد : هُـلمِّى أحرحى القلبَ الينـا

بلهاء : القلبُ ! أين القلبُ ؟ أيـــن يا تُـرى وضَعْتُه ؟
يا ويحَ لى ! نسيتُ أنى بيـــــدى نزعتُـه !

قيس : وشـاةٍ بلا قلبٍ يداووبى بهـــا
وكيف يُداوى القلبَ من لا له قلب !

« تسير بلهاء الى الحى ويظهر صغار من ناحية الحى يلهون فى طائفتين وإذ تقع »
« أبصارهم على قيس وزياد تنغنى كل طائفة بغناء »

« الطائفة الاولى »

قيسُ عُصـفورَ البوادى وَهـــــزارَ الرَّبَواتْ
طِرنَ من وادٍ لِوادٍ وعمـرتَ الفـــلواتْ

« وشاة بلا قلب يداوونى بها وكيف يداوى القلب من لا له قلب »

(صفحة ٣٣)

إيهِ يا شاعرَ نجـــدِ ونجىَّ الظّمَبَـــاتْ
أضـمرِ الحبَّ وأبدِ لِأعَفّ الفتَيـــاتْ

« الطائفة الثانية »

قيسُ كشّفتَ العدارى وانتهكتَ الحُرُماتْ
ودمَغْتَ الحيَّ عارا فى السـبىَ العـابراتْ
قد ذكرتَ الغَزْل دعوى واصطمعتَ الحـلوَاتْ
صَلِمَتْ ليـــلى بلوى مثك دون الفَنيـاتْ !

« يلتقط قيس بضع حصوات من الارض ويهم أن يحصب بها الصغار ثم يتردد »
« فينثر الحصا من يده ، بينما يظهر من جانب الطريق الآخر اس عوف وكاتبه يصيح »
« قيس : مناجيا نفسه »

قيسُ لا ! سامحْ صغارا لا يُحسُّون الخطيئـه
إنهـــم فيما أتوْه بَغَاواتٌ بريئـــهْ
لقّنوهـــا كلاماً نزِهاً أو بذيئـــهْ

« زياد : وهو يصرف الصغار »

إذهبوا عودوا الى آبائكم وادكروا قيسا بخير ياخُبَثْ
إدهبوا أوْحُوا الى أترابكم وليُبَلِّغْ حَدَثاً منكم حَدَثْ

سيطرَ الحبُّ على دي ـــــا كمو

كلُّ شيء ما خلا الحبَّ عَبَثْ

« يجرى الصغار أمام زياد مصطربين ثم يختفون عن الأنظار ، بينما »
« يستلقى قيس على الأرض فى شبه اغماء »

اس عوف : الى نصيب وزياد يطارد الصغار »

انظرْ نُصيْبُ صحفةٌ وصبيةٌ ورجلٌ يرمى الصغار بالحصا

صيب . أرى أميرى نشـــأ تعلقوا

بابن سبيلٍ مُتعَبٍ واهى القُوى

بن عوف: بل امضِ سَلْ

صيب : معترضا زياد »

من الفتى ؟

زياد : لنفسه وقد رأى اس عوف »

ماذا أرى ؟ هذا أميرُ الصَّدَقات ههنا

ثم يرد على نصيب »

قيسُ إمام العاشقين

بن عوف: أيُّهم فهم كثير، كل قيس يهوى

زياد : أجلْ ولـكنّ الذى تُبْصِرهُ أرفعُهم ذكرا وأعلاهم سنى

ابن عوف : لعله قيسُ الذى نعرِفُهُ لقدرَوَيْت شعرَه فيمن رَوى

فأين ظله زياد

زياد . أنا ذا أنا الذى يتبعهُ حيثُ مشى

ابن عوف . أنت الذى تهدى لـكلّ قريةٍ

مُجاجةَ النحل ونفحةَ الرُّبا

ما بالُه يَطَا الترابَ حافيا ويقطعُ البيدَ مُمَزَّق الرِّدا

خُذ يا نُصَيْبُ بُردتى فغطِّه لا يلحقنَّه من العُرى أدى

زياد . إحفظ عليك البُرْدَ يا أميرُ لا فقرَ اليه بابن سـيد الحمى

إن لقيس من ثياب الوشْيِ ما يَفْنى به العمرُ وما يُعيى البلى

« ابن عوف : مناجيا نفسه »

يا ويحَ قلبى ماخلا من قسوةٍ ما بالُه رَقَّ لقيسٍ ورثى

« يقبل على قيس »

قيسُ بُنىّ

زياد . هو فى إغماءةٍ من وَجْده وما أظنـه صحا

« يسمع صوت حاد من ناحية نجد ، ويتعالى الصوت قليلا قليلا حتى »
« يظهر الحادى ومن ورائه قافلة تسير الى المدينة ثم يذوب الصوت »
« قليلا قليلا حتى ينقطع »

أنشودة الحادى »

يا نجـــــدُ خُذْ بالزمامْ ورحّـــبِ
سِرْ فى رِكاب العمامْ ليـثربِ
هــذا الحُسَيْنُ الامامْ ابنُ النبى
النورُ فى اليـــــد زادْ حتى غَمَرْ
أحْـدُ الحيـاةِ الوهادْ أحـدُ القمر
أحْد جَـمالَ الموادْ زينَ الحمرْ
ابن النبى

ابن عوف : سمعتمو ؟ يا لكِ من رنة حـادٍ مُطربِ
زياد . يا ليت شعرى ما الركا ب مَنْ لواه الموْكِب
نصيب . قـد بين الحادى فقل أصمٌ أنت أم غـــــبى؟
هـــــذا إمامُ العرب هـذا الحُسينُ ابنُ النبى
هذا الزكىّ ابنَ الزَّكِىّ الطيِّبُ ابنُ الطيب

عارَضَنا الحسينُ فى طريقـــــه ليـثرب
هـدا سنا حبينِه مِلْءَ الوهاد والرُّبى
قـد حلَّ حاديه جـلا لَ القارىءِ المطَرِّب

« ابن عوف هامسا الى نصيب »

نصيبُ صه لا تَسلـكنْ بنـا مسـالكَ التُّهَمْ
ولا تَظاهرْ بالهـــــوى لوارت الميت العلَمْ
إحذرْ جواسيسَ ابنِ هندٍ وعيونَ ابن الحَكَمْ
نحن رجالُ دُولةٍ قوّامةٍ على الأمم
ليس بعينهـا عمًى ولا بأذْنها صَمَمْ
تسمع فى ظل القصور همسَ رُعيانِ الغنم

« الى زياد مشيرا الى قيس »

زياد انظرْ فما انفكّ صريعَ الوجدِ والذكرى
كما مَرّ بنا الركبُ الـــــحسَيْنِيُّ به مَرّا
فـلم يشغَلْ له بالا ولم يوقِظْ له فكرا
زياد . رويدا سيـدى مهلا ولا تستغرِب الأمرا

« نصيب صه لا تسلكن بنا مسالك النهم ! »

(صحيفة ٣٩)

لقد سقناه بالأمسِ فحجَّ الكعبةَ الغرّا
فلما لمس الركنَ ومسّتْ يدُه السِّترا
وقلنا الآنَ من ليلى ومن فتنتها يبرا
سمعناه ينادى الله من ساحته الكبرى

اس عوف : وماذا قال !

رياد : ما تابَ من العِشق ولا استبرا
ولكن قال يا ربُّ ملكتَ الخيرَ والشرا
فهاتِ الضرَّ إن كان هوى ليلى هو الصرا
وإن كان هو السحرَ فلا تُبطلْ لها سحرا
ويارتِّ هَبِ السلوى لغيرى وهب الصبرا
وهبْ لى مَوْتَةَ المُضنَى بها لا ميتةً أحرى

« نقل على قيس ويميل عليه بحنان »

حنانيكَ قيسُ إلامَ الدهول !
أفِقْ ساعةً من عواشى الخَبَلْ
صليلُ البغال ورَحْعُ الحُداءِ
وضجّةُ رَكْبٍ وراء الجبَلْ

وحادٍ يسوق ركابَ الحسَيْنِ
يُهزُّ الحبالَ إذا ما ارتحلْ
فلم يبقَ ماشٍ ولا راكبٌ على نحدَ الا دعا وابتهلْ
فقُمْ قيسُ واضرعْ مع الضارعين
وأنزلْ نجدّ الحسيْنِ الأمل

« يسمع صوت حاد آخر قادما الى نجد من ناحية يثرب ، على »
« رأس قافلة اخرى وتمر هذه القافلة كما مرت الأولى »

« أنشودة الحادى »

ـلا هـلا هيًّا * إطوى الفلا طيًّا * وقرّبى الحيّا * للنارح الصّب
لاحلّ فى البيدْ * شحنةُ التردِيدْ * كرنّةِ العرِّيدْ * فى الفنَنِ الرَّطْب
ح أم عنّى * أم للحمى حنّا * جُلَنْجِلُ رنّا * فى شعَبِ القلب
لا هلا سيرى * وامضى بمسبر * طيرى بنا طيرى * للماء والعشب
رى اسقى الليلا * وأدركى الغَمْلا * العهدَ من ليلى * ومَسرلَ الحب
ه يا حادى * فتّشْ بنوْادِ * فالقلبُ فى الوادى * والعقلُ فى السّعب
قمرا يبدو * مَطلعهُ نجدُ * قد صنع الوجدُ * ما ساء بالركب

« بعيق قيس ثم تلفت مصغيا الى الحداء »

قيس :

ليلى ! مناد دعا ليلى فخفّ له ... نَشْوانُ فى جنبات الصدرِ عِربيدُ

ليلى ! انظروا البيدَ هل مادت بآهلها ... وهل ترنّمَ فى المزمار داودُ

ليلى نداءٌ بليلى رنّ فى أذنى ... سحرٌ لعمرى له فى السمع ترديدُ

ليلى تَردّدُ فى سمْعى وفى خلدى ... كما تَردّدُ فى الأيك الأغاريدُ

هل المنادون أهلوها وإخوتُها ... أم المنادون عتاقٌ معاميدُ

إن يَسْرَكونى فى ليلى فلا رجَعتْ ... حبالُ وُدٍّ لهم صوتا ولا البيدُ

أعيرَ لبلاى بادوْا أم بها هتفوا ... فداء ليلى الليالى الخُرَّدُ العيدُ

إذا سمعت اسمَ ليلى ثُبْت من خَلَدى ... وثابَ ماصَرَعتْ منى العناقيدُ

كما النداءُ اسمُها حسنا وحبَّبَه ... حتى كأن اسمَها البشرى أو العيد

ليلى ! لعلىَ مجنونٌ يُخيَّلُ لى ؟ ... لا الحىُّ نادوا على ليلى ولا نُودوا

ابن عوف :

لا تكتئبْ وتعالَ يا قيسُ استرحْ ... مما تكابد فى الهوى وتلاقى

قيس :

هل أنت آسٍ يا أميرُ جراحتى ... أم أنت من سحر الصبابة راقى؟

ابن عوف :

بل من رُواتكَ قيسُ من زمنٍ مضى ... لم أخلُ قيسُ عليك من إشفاق

قيس :

قل للخليفـة يا بنَ عوفٍ فى عدٍ ... منذا أباح له دمَ العشاق ؟
هدَرتْ حكومتُهُ دمى فتحرَّشتْ ... بدمٍ على سيف الحفُون مُراق

ابن عوف :

أرَصيتنى عند الخليفة شافعا ؟ ... يا قيس

قيس : فى آخره :

لا والواحدِ الخـلاق ... بل عند ليلى فامضِ فاشفع لى لدى
ليـلى وناشِد قلبهـا أشواقى ... جِئْها فذكِّرْها العهودَ وحفِظَها
واذكرْ لها عهدى وصِفْ ميثاقى ... ليلى إذا هى أقبلتْ حقمتْ دمى
كرما وفكَّتْ يا أميرُ وَثاقى

ابن عوف :

الآنَ قيسُ اذهبْ فدلِّلْ حلَّةً ... وترَدَّ عيرَ ثيابكَ الأحلاق
فالصبحَ تدلجُ حىَّ ليلى فبسُ فى ... ركْبى وبين بطانتى ورهاقى

قيس الى زياد :

أسمِعتَ ماقال الأميرُ ؟ زيادُ طِرْ ... نحو الحمى بجماحىْ المشتاق
إذهبْ وسلْ أمى أعزَّ ملابسى ... من كل شامىٍّ وكلِّ عراقى
واذكرْ لها فصلَ الأمير ، ولم تزلْ ... نِعَمُ الأمير قلائدَ الأعناق

« يسير زياد نحو الحى بينما يتمسح قيس باس عوف كالطفل »

شكرا لصُنعكَ يا أميرُ ودُمتَ مَقصودَ الرحابْ

عجّلْ أمير

اس عوف ضاحكا : بل انظرْ أنسيتَ يا قيسُ الثيابْ ؟

قيس : مَنْ مُبْلِغٌ أمى الحزينةَ أن عقلى اليومَ ثابْ ؟

ومَن البشيرُ اليكِ يا ليلى بقيسٍ فى الركابْ ؟

اليومَ أهـــــلا بالحيَاة ومرحباً بكَ يا شبابْ !

« ســـــتار »

الفصل الثالث

« قطعة من الصحراء تبدو فى يسارها طائفة من مضارب بنى عامر »
« ممتدة الى ماوراء اليسار على سفح جبل الوباد — حياء مضروب »
« الى يمين هذه الطائفة من المضارب كأنه نهاية حيام الحى — على »
« اليمين أشجار بانت يقف فى ظلها ابن عوف وحاشيته وقيس »
« وزياد »

ابن عوف : تراءى الحيُّ للركْبِ وأشرَفْنا على الشِّعبِ
أفِقْ قيسُ أما فى رؤ يةِ الخيْمات ما يُصبى !
ألا تهتِفُ بالشكوى الى ليـلى وبالعتْب
قيس : ديارَ الحى من ليـلى سـلامٌ من شجٍ صَب
على الحى على الدار على ليـلى على الحب
غدا الركبُ على طيبٍ كريح المندَل الرّطب
فيا ليـلى عسى اليوم أبُلُّ الشوقَ بالقرب
عسى الخطّبَةُ لا تنزلُ فى ناديك كالحطب
عساهم لا يقولون فتى مشتركُ اللبِّ

ولا يذهبُ إحسانى ولا يبقى سوى ذنبى
يقولون بها غنىّ لقد غنّيتُ من كربى
سلى تُربَك كم مَرّعت خـدّىّ على التّرب
وكم جُـدتُ علَى الرمل ولم أبخَلْ على العُشب
بدمعٍ مثل دمعِ النُّـكلِ مغروفٍ من القلب

« يتطلع ابن عوف الى ناحية الحى »

ابن عوف: قيسُ انتبهْ قيس

قيس : مَن المنادى !

ابن عوف : الحىُّ فى السـلاح سَدَّ الوادى
وأب قيسُ بعد حينٍ غاد على خصوم لُدُدٍ شِـداد
فالقَ الرجالَ صاحىَ الفؤاد لاتَلْقهم مُصيّعَ الرشاد

« قيس : منطلقا كذلك »

أتُبصرُ يابنَ عوفٍ حىّ ليلى تَدجّج فى السلاح ولا تراها!
فما لى لا أُحقّقُ عيرَ ليلى وإن كثُرالسوادُ لدى حماها
لقد ألقَى هوى ليلى حجابا على عينى فلستُ أرى سواها
وبغّضتْ النصيحَ الىّ ليلى وسدّ مسامعى عنه هواها

« أتبصر يا بن عوف حى ليلى تدجج فى السلاح ولا تراها ؟ »

(صفحة ٤٧)

« يسمع من بعيد ومن ناحية الحى لجب وقعقعة »
« سلاح ويقترب الصوت ويتعالى شيئاً فشيئاً »

أرى حىّ ليلى فى السلاح ولا أرى ... سلاحا كهجر العامريّة ماضيا
دمى اليومَ مهدورٌ لليلى وأهلها ... فداء لليلى مُهدَراتُ دمائيا
لىَ اللهُ! ماذا منك يا ليلَ طَاف بى ... وما دلك الساقى وماذا سقانيا!
دعونى وما عندى لليلى أقولُه ... لليلى واسنشى الذى عندها ليا
أهيمُ فاستعدى نهارى على الحوى ... وأقبَعُ ليلى أستجيرُ القوافيا
(فما اشرفُ الأيفَاعَ الا صبابةً ... ولا أنشدُ الأشعارَ الا تداويا)
إذا الناسُ شَطرَ البيت ولّوا وجوهَهـ ... ـم تلمستُ ركنىْ بيتها فى صلاتيا
(أُصلّى فما أدرى إذا ما ذكرتُها ... أثنتَين صلّيتُ الضّحى أم ثمانيا)
توارتْ وراءَ الجَمْعِ ليلى فخانها ... مَ كانسام الصبح يا ذى التواريا
وطِيبٌ به خُصّتْ حوى الطيبَ كلّـ ... ـه فقُلْهُ الاقاحى أو فقُلْهُ الغواغيا
فأحسستُ من رعْى لسانىّ هزّةً ... كأن عِياناً منكِ لاقى عيانيا
دعونا وما يبقى إذا ما فنيتُموا ... فوالله ماشىءٌ خلا الحبَّ باقيا
مشى الحبُّ فى ليلى وفىّ من الصِّبا ... ودبّ الهوى فى شاءِ ليلى وشائيا
وإنى ولیلى للأواخر فى غدٍ ... لشُغْلٌ كما كنا شغلنا الأواليا

« يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترنح فيتلقاه »

« زياد — تسمع أصوات الحى من قريب »

ابن عوف : زيادُ أدركْه أدرِكْ إنى أرى الداءَ عادَهْ
لقد تصاءل قسٌ واصفرّ مثلَ الحراده !
وليس قسٌ بمُلقٍ إلا إليك قِياده
الآن أسعى لقسٍ سعيا أخافُ فسادَه
هِلْ بنا و بقسٍ حتى يُصيبَ رَشادَه

« يحملون قيسا ويحفون به وراء شجر »

« الناس ، وتظهر طلائع الحى من اليسار وعلى »

« رأسها المهدى ومنازل، وكلهم شاكى السلاح »

المهدى :

ياقومُ إن البغْىَ شرٌّ مركَبُهْ والخيرُ فى جانب من يُجَنَّبُهْ
هذا ابنُ عوفٍ قد أطلّ موكبُه و إن قيساً فى الرّكاب يصحَبُه
جاء يرومُ صهرَكم و يَخْطُبُه وقد علمتمْ كيف ساء مذهبُه

وكيف طال بابنتى تشتُّمُه

صوت : كِلْه الى سيوفِنا تؤدِّبُهْ لقد وجدناه وكنا نَرقُبُه

الهدى : لا ، دم قيسٍ دمُنا لا نقرَبُه يكفيه منا أننا نُخيّبُه
ونَصرِفُ الأميرَ عما يطلبُه

صوت آخر: شيخَ الحمى لا تضعُفِ ولا تردّدْ وقف
ذُدْ عن عقيلة الحمى وامنعْ حياضَ الشرَفِ
لا تُصغِ للشافع فى قيس ولا المستعطِف
ليس ابنُ عوْفٍ فى الذى سعى له بالمنصفِ
أالأمير بعد ما أحار قيسا تحتفى !
لاَ تخشَ بأسَه ومن رجاله لا تخف
نحن كعثمانَ وليلى سننا كالمُصحَف

« يظهر ابن عوف وحاشيته من وراء الشجر ومعهم زياد »

ابن عوف : عِمْ أبا ليلى صباحا
الهدى : عِمْ صباحاً يابنَ عوف
ابن عوف : قل لهم يُلقُوا السلاحا ليس ذا مَوْطِنَ خوفْ

صوت من الحي :

يا بنَ عوفٍ يا أميرْ ليس ذا شأنَ الوُلاةِ

كيف تَحمى وتُجيرْ مُستبيحَ الحُرُماتِ ؟
ابن عوف: عامرُ يا أحاودَ البِطاحِ وأسمَحَ الناس بُطون راحِ
مالى وللسيوف والرماحِ ؟ ضيف أناوما ومن السَّماحِ
رَدِّكوحهَ الضيف بالسلاحِ ماجئتُكم يا قومُ للكفاحِ
بل جئتُ للتوفيق والإصلاحِ

« تحدث ضجة فى جانب الحى وتصايح وتهامس »
« ثم يلقى كثير منهم السلاح ويغمد السيوف »

صوت من الحى :

يا أنا ليلى بليلى حُدْ لقيسٍ بالحياة
إنه شاعرُ نجدٍ وبَجِيُّ الطَّبَياتِ
صوت آخر: قيسُ أخٌ وابنُ عمٍّ وليس أهلا لذَمّ
نجمٌ أضاء بنجد سما على كل نجم
هبوه جُنّ بليلى ليس الغرام بجُرم

« منازل : حيث يستقبل الجمعين خطيباً »

إن قيساً معترَ الحى أخٌ وابنُ عمٍّ أفمنه تبرأونْ ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً شاعرُ البيد الذى لا يُجارَى أفأنتم مُنكِرونْ ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً سيِّدٌ من عامرٍ وابنُ سادات ، أفيه تمترون ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً قد بنى المجدَ لكم ولنجدٍ أبقيسٍ تكفرون ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغُوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً كاملٌ فى عقله أوَ آنستم على قيسَ الجنون ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغُوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون
أنالم أعدِلْ بقيسٍ شاعرا لا ولا أنتم بقيس تعدِلون

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل :

أصغُوا لى إدنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون
أنا فى وُدى وإعجابى به لا يدانينى الرواةُ المعجَبون
شعرُه يبقى ويفنى غيرُه ليس كلُّ الشعر تَرويه القرون
شعرُ قيس عبقرىٌّ خالدٌ ليته لم يتحلَّمْه المجُون
ولو أن المتحى شاعرٌ غيرُ قيسٍ أوشك الخطب يهون
رُبَّ شعرٍ قال فى ليلى ، به هتف البدْوُ وضجَّ الحاضرون
إنى أخشى عليكم عارَه رُبَّ عارٍ ليس تمحوه السّنون
ضجرتْ ليلى وصجّت أمُّها وأبوها وتأذّى الأقربون
وغَدا كلُّ فتى من عامرٍ حين يلقى الناسَ، مَخنِيَّ الجبين

« أصوات كثيرة »

هو ما قلت

منازل : إدن ما بالُكم لم تثوروا، مالكم لا تغضبون؟
هو ذا قيسٌ مع الوالى أتى يطأُ الحىَّ وأنتم تنظرون
وأبو ليلى امرُؤٌ أدرى له رِقَّةَ القلب وأخشى أن يلين

بعدَ حينٍ يعبثُ القومُ بكم ومن الحى بليلى يخرجون
آن يا قومُ لكم أن تعلموا أن قساًهتك الخدرَ المصون
قيسُ لم يترك لليلى حُرمةً ماالذى أنتم بقيسٍ فاعلون!

صوت : ماجِنٌ لا بدّ من تأديبه

صوت آخر: إن بالسَّوْط يُرَبّى الماجنون

صوت : بأحدُ الحىَّ عليه

آخر : ولنقفْ دون ليلى وحماها كالحصون

مازل : حلَّل السلطان بالأمس لكم دمَ قيسٍ ما الذى تنتظرون!

صوت : حلَّل السلطان بالأمس لنا دمَه

« أصوات أخرى » إنا بقيسٍ فاتكون

« ضجيج واندفاع »

صوت : مُناز يابنَ العم ماهذا الخبرْ! رفعتَ قيساً فجعلتَه القمرْ
والآن أغريتَ بقتله الزُّمَرْ كفعل جزار اليهود بالبقر
برّأها من العيوب وعقَرْ!

« يصعد بشر منبرا للخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس »

قائل : إرجعوا يا قومُ هذا منبرٌ وخطيب

١١ ٧ ٣ ٣

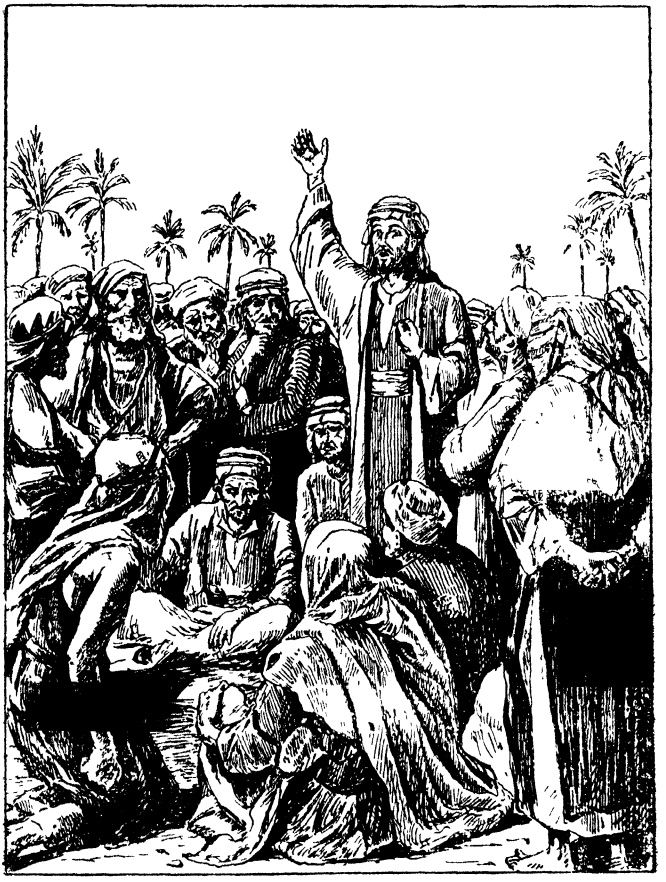

« حلل السلطان بالأمس لكم دم قيس ما الذى تنتظرون ؟ »

(صفحة ٥٥)

يسأل أحدهم: ليت شعرى من يكونْ !

آخر : أو أعمى أنت هذا شرُ

آخر : هل يحسن الخُطبة بشرٌ ويُبين

« يحاول منازل أن ينسل من الجماهير »

بشر :

قف منازِ اسمعْ سمعتَ الرعد من حابىْ صاعقةٍ فيها المَنون
وسمعتَ الذئبَ فى جَوْز الفَلا وسمعتَ الليثَ فى جَوف العرين
أخطيبٌ أنت أم خطبٌ و إن لم تَهُن والخطبُ أحيانا يَهُون

منازل صائحا: بشر . . .

بشر : قف !

منازل :

مالك يا بشرُ ولى ؟ إن حربَ الأهل والصحب جُنون

بشر :

لِمْ إذن حار بتَ قيساً لم تصن حرمةَ ابن العم أو حقَّ الخَدين؟

منازل : قلتُ بشرُ الحق

بشر : خلِّ الحق ما أنت والله على الحق أمين

إنما أنت لقبس حاسدٌ منطوى الصدر على الحقد المهين
كلما حدّثتَ عنه عامراً قرأتْ فى وجهك الداء الدفين
ترسلُ الرقوة نتلو أختَها وتَفُشُّ الصدر من حين لحين

يا منازِ يابن عمّى أصع لى
أنت دونٌ أنت دون أنت دون !

منازل : دعونى

بشر من المنبر : دعونى فلا بدَّ لى

رجل : أناتَك لا بد أن أقتله

منازل : دعونى

بشر : دعونى

رجل : دعوه اتركوه

آخر : ومن كتّفَ الندلَ أو كبّله ؟

منازل : دعونى

رجل : دعوه

آخر : كلا البطلين يقولُ الوعيدَ ولن يفعله

بشر : دعونى

رجل : تقدَّمْ

منازل : دعونى

رجل : انطلق

بشر : دعونىَ

رجل : حثْه

منازل : دعونى

رجل : إمش لهْ

آخر : تنحّوْا وخلّوا سبيلهما ولا تخشوْا الوقعةَ المقبلهْ

بشر : منازلُ فى عقله كاملُ

منازل :

بشر : أنروعلى الحىّ رَوْعَ الديوك وعقلك يا بشرُ ما أكملهْ

وتقفزُ كالأكنس المرسلهْ

وتَقلَقُ رأسى كرُمانة وأفلقُ رأسك كالحنظله

فماذا يردُّ عليك العويلُ ومادا انتفاعىَ بالولولهْ ؟

زياد : منازلُ كنت كثير الكلام ووالله ماقلتَ الا الكذبْ

صوت :أتزعمُه كاذبا يازيادُ وقـــــد ذاد عن حُرُمات العربْ ؟

زياد : رويدَك لا تنخدِع يافتى ولاتأخذ الأمرَ دونَ السببْ

فلم يبعِ الا خداعَ الجموع وجلْبَ الطنون وخلْقَ الرِّيبْ

وأثّر فيكم وفى آخرين وأفرغ فيكم سُمومَ الرُّقُبْ

صوت :منازلُ دافعَ عن سُبَّةٍ مُعظّمةٍ من قديم الحِقب

زياد : تأمل منازلُ سُخْطَ الجموع وحهلَك ماذا عليهم جلَبْ!

أحل قد غصتَ ولكنما لنفسك لبس لليلى الغضب

تحضُّ على قَتل قسَ الرحالَ لتحظى بليلى إدا ما ذهب

أصوات:يُريدُ ليحطى بليلى ؟

زياد : نعم !

صوت : تكلمْ

صوت آخر: أبنْ

ثالث : إن هذا عجب !

زياد : ألمْ يَكُ يَغشَى النَّدِىَّ ويطلبُ ليلى أشدَّ الطلب؟

« صوت يخاطب المهدى »

إذن كان يحطبُ ليلى؟

المهدى : نعم !

صوت : إذن قد تجنّى

صوت آخر : إدن قد كذب !

زياد : منازلُ قل لهموكم صرعـ ـت لليلى وكم أعرصتْ لم تُجبْ

صوت : منازلُ احدعْ وغُشَّ غيرى

آخر : قدحازَ الا علىّ كِذْبُكْ !

ثالث : ما أنتَ إلا جوٍ شقىٌّ تحبُّ ليلى ولا تُحِبُّكْ !

« تحدث صحة حول منازل ويقف ثلاثة رجال فى ركن قصى من أركان المسرح »

« يتحدثون »

الأول: قد اختلف الحىُّ فى أمر قيسٍ وليلى وكلٌّ له مذهبُ

وأنت الى أىِّ رأى تميلُ وأىَّ الفريقين ستصْوِبُ

الثانى : إذا صدقت نظرتى فى الأمور ولى نظرةٌ قلما تكذِبُ

منازلُ غادٍ على خيبةٍ وقيسٌ على فضله أخْيب

وقد يُخفقان ويلقى النجاحَ غريب له فيكمو مأرب

الاول . غريب ؟

الثاني . أحل من نواحي ثقيف

الاول : ومن دالك ؟

الثاني : وردُ

الاول : وما بطلب !

الثالث : رأينه في الحي يمشي الحياء وفيل أتى عامرا يحطُبُ

الاول : ولملي ابنة الشيخ ما رأيُها أمامن حساب لها يُحسب؟

الثاني : أراها وإن لم تحطّ الشباب عجوراً على الرأي لا تُغلب

تصون الفديمَ وترعى الرميمَ وتُعطي النقاليدَ ما توجب

وبالجـــاهليه إعجابُها إذ قل بالسلف المعجَب

ومن سُنّة البيد نقض الأكفّ من العاشقين اذا شمّروا

فلا تعجبوا إن جرى حادثٌ يُحدث عنه ويُستغرب

وإن رصيَت وردَ بعلا لها وقدس الأحبّ لها الأقرب

فيا طالما التمست مهربا وأرضُ ثقيف هي المهرب

مدارل : بني عامر لا تُضيعوا الحُلومَ فان الأناة بكم أجملُ

هبوا لىَ آذانكم إننى أجدّ وصاحبُكم يَهزِلُ
خطبتُ وأخطبُ ليلى عدا وما لىَ يا قومُ لا أفعلُ
وقد نُعرِضُ اليومَ لبلى فلا أصيقُ، عسى فى غدٍ تُقبِلُ
ثما قيسُ أحدرُ منى بها ولا هو خبرُ ولا أفضل

زياد : إليك منارلُ ! لا تترُكْ بقيسٍ قد سبت المرلُ !
ولايسنوى الشاعرُ العبقرىْ ومن هو من نافلِ أنفلُ !

منارل : وما أنت ؟ بيّنْ لنا يا زياد

« زياد — ممسكا بذراع منارل »

ستعلم منّى ما نجهل هلمّ مُنازِ . هلمّ الصراعْ !
وودّعْ صلوعَك وانعَ الذراعْ

منارل : خلِّ زيادُ حلِّ عن ذراعى

زياد : سألتَ ما أنت ؟فأصغِ ،راعِ
إنى انا مُمَزِّقُ الأضلاع !

« ثم يجره من ذراعه ويمضى به الى خارج المسرح »

صوت : ماذا يكون يا ترى ؟

آخر : هيّوا نرى هيووا نرى

« آخر وهم يتدافعون »

زيادُ غـــــيرُ هازل

آخر : نوحوا على منـــــازل

آخر : حمـــــامةٌ وبارِ ! !

آخر : هلكتَ يا منـــــازِ !

آخر من بعيد : إهرب من البرازِ

« يخلو المسرح الآن الا من المهدى وابن عوف »
« ونصيت ثم تسمع صرخة من وراء الشجر »

مهدى : ما بقيسٍ يابنَ عوف ؟

ابن عوف : انه مغمّى عليـــــه

مهدى : قيسُ لا بأسَ عليـك كبّروا فى اذُنيْه

« صوت من وراء الشجر »

الله أكبر الله أكبر

« ابن عوف لنفسه »

سدًى كبّروا ماأذْنُ قيس مفيقةٌ وإن سكبوا فيها أذانَ بلال
ولـكن على ليلى يُفيقُ وشبهها إذا مابدتْ ليلى بشكلِ غزال
ويصحو على ليلى إذا رددّاسمها وراءَ بُيوتٍ أو وراءَ رِحال

المهدى :

دَمُ الوُدّ والقُربَى وإن كان ظالما ... عزيزٌ علينا أن نراه يسيلُ
وإنى لانسانٌ وإنى لوالدٌ ... ولى مذهبٌ فى الوالدين جميل
فرفقا بقيس يا أميرُ ونَحّه ... بعيدا لعل الشرَّ عنه يزولُ

ابن عوف :

أناةً أباليلى وحِلما ولا يَكنْ ... عليك لطغيان الطنون سبيلُ
رددتم ركابى واتهمتم زيارتى ... وأجلبَ فِتيانٌ وضجّ كهول
تأملْ تجدْ جَمْعا مَغيظا وكثرةً ... تصولُ وماتدرى علامَ تصول!
رءوسٌ تنزّى الشرُّ فيها وراءها ... نفوسُ دئابٍ ما لهنّ عقول
تَطَلَّبُ أن يُلقى اليها بجُثّةٍ ... على غير حوعٍ أو يُساقَ قتيل
نواظرُ ما يأتى به اليومُ من دمٍ ... وإن لم يُساورْها صدًى وغليل
نزلتُ فلم أكرَمْ فهل أنت مُتبعى ... وقومُك نارَ الطَّرْدِ حبس أميل؟
أبَيْتُم على القولَ قبل استماعه ... فلم تُنصفوا والمنصفون قليل
فهل لى أبا ليلى بناديكَ وقفةٌ ... فان الذى قد حئتُ فيه جليل
وما أنا مَرْءٌ السوءُ أورجُلُ الأذى ... ولكنْ سفيرٌ خيرٌ ورسول

ولم أتخذ حاهَ الأمور ذريعةً ألا إنما حاهُ الأمور يزول

المهدى :

تقبتم بحر يا وُلاةَ أميـةٍ ولا زال يقوى ركنُـكم ويطول

« مشيراً الى باب الخباء »

هنا محلسٌ نأوى اليه لعلنى أقولُ صوابا أو عساك تقول

ومَمَّ ترى ليلى وتسمعُ قولَها وليلى لها رأىٌ يُساقُ جميل

فسلْها عسى أن نهتدى ماحوالُها إباء ورُدْ أو رضى وقبول

« يهم ابن عوف بخلع نعليه »

المهدى : أتخلعُ نعليك؟ لا يابنَ عوف نَشَـدتُك بالله لا تفعلِ

أتمشى الى منزلى حافيـا وديتُك ، من أنا؟ مامنزلى؟

ابن عوف :

خلعتُهما وانتعلتُ التراب الى حَيْمـه السيِّد المفضلِ

« اصيب : متدخلا »

دعْه يا مهدىُّ يفعـل إنمـا يَرمى لمعنى

كالحسـيْنِ بنِ عليٍّ هو بالعشـاقِ يُعنَى

الحسينُ انتعل الترب الى والد لُمنى
ورآه حافيا فى سا حة الدار فجُنّا
قال لا أملك يابن المصطفى بدتاً ولا ابنا
أنت فى الدار أميرٌ فبما شئتَ تُمرنا

« لنفسه »

يادهر دُرْ بما تشا ويا حوادثُ اهرِلى !
ويا وظيفةُ اعرُبى ويا حرايةُ ارحلى
يبعى ابنُ عوفٍ أن يكو نَ كالحسيْن بن على !

« يدخلان وينادى المهدى : »

هو الضيفُ يالليلَ هاتِ الرّطبْ وهاتى السّواءَ وهاتى الحَلبْ
وهاتى من التمر ما يُشتَهى ومن سَمنةَ الحىّ ما يُطَّلَبْ
فما هو صيفٌ ككلّ الصيو فولكن أميرٌ كريمُ الحَسب

« ليلى من وراء حجاب »

أبى ألف لبّيْك !

ابن عوف: لا بل قفى فما بى ظمأ ولابى سغَبْ

وأعلَمُ أن القِرى دِينُكم وأن أباكِ جوادُ العربْ

ولكن طعامى

المهدى : مادا ؟ اقترِحْ

ابن عوف: طعامُ الرسول بلوغ الأرَبْ

المهدى : إدن قِفى ليلى اقربى -

« تظهر ليلى من وراء الستر »

تقدّمى ورحّبى

حلّ ابنُ عوفٍ دارَنا

ليلى : أكرِمْ به وأحببِ !

قد زارنا الغيثُ فأهلاً بالغمام الصَّيِّب

ابن عوف: أهلاً بليلى بالجمال بالحجى بالأدب

عشتِ وقيساً فلقد نوّهتما بالعرب

« ليلى — بين الخجل والغضب »

أتقرِنُ قيساً بنا يا أميرُ ؟

ابن عوف : ولِمْ لا وقد جئتُ من أجْلِهِ

ومَنْ أنا حتى أُضِمَّ القلوبَ ... وا عطفَ شكلاً على شكلِهِ
لقد جمعَ الحبُّ رُوحيكما ... وما زالَ يجمعُ فى حبلِهِ

« ليلى : فى استحياء »

أجلْ ياأميرُ عرَفتُ الهوى

ابن عوف : ... فهلاّ عطَفْتِ على أهلِهِ ؟

« يلتفت الى المهدى »

أنا العامرىّةِ قلبُ الفتاةِ ... يقول وينطقُ عن نُبْلِهِ
فأصغِ له وترفّقْ به ... ولا يَسْعَ ظُلمُك فى قتله

المهدى : أأظلم ليلى ؟ معاذَ الحِمان ! ... متى حار شيخٌ على طفله ؟
هو الحُكْمُ ياليلَ ماتحكمين ... خُذى فى الخطاب وفى فصلِهِ

ليلى : أقيساً تريد ؟

ابن عوف : نعم

ليلى : إنه ... مُنَى القلب أو مُنتهَى شُغلِهِ
ولكن أترضى حجابى يُذَالُ، ... وتمشى الظنونُ على سِدْلِهِ
ويمشى أبى فيَغُضّ الجبينَ، ... وينظرُ فى الأرض من ذُلِهِ

يدارى لأجلى فُضولَ الشيوخ، ويقتلُنِى الغمُّ من أجله
يمينا لقيتُ الأمرَّيْنِ من حماقة قيسٍ ومن جهـله
فُضِحتُ به فى شِعابِ الحجازِ وفى حَزْنِ نجـدٍ وفى سهله
فخُذْ قيسُ ياسيدى فى حماك

« فى حياء وإباء »

وألْقِ الأمانَ على رَحْلِهِ
ولا يَفتكِرْ ساعةً بالزواجِ ، ولو كان مَرْوانُ من رُسْلِه

ابن عوف:

إذن لن تقبلى قيساً ولن ترضَىْ به بعلا
إذن أخفق مسعاىَ وخاب القصـدُ ياليلى
ليـلى : على أنك مشـكورٌ ولا أنسى لك الفضلا
وأوصيكَ بقيسَ الخـــيرَ لا زلتَ له أهـلا
لقـد يُعوِزُه حامٍ فـكُنْه أيهـا المولى

« تلتفت الى أبيها وكأنما تحاول »
« أن تحبس فى عينهـا دموعا »

أبى كان وردٌ ههنا منذ ساعةٍ ففيم أتى ؟ ما يبتـغى ؟

المهدى : حاء يخطُب

ابن عوف: ومن وردُ ياليلى وهل تعرفينه ؟

ليـلى : فتى من ثقيفٍ خالصُ القلبِ طيّبُ

أتى خاطباً بعد افتضاحى بغيره وعارى،أهذا يابن عوفٍ يُخيَّبُ؟

أبى : أين وردُ الآن ؟

المهدى : عند قرابةٍ من الحىّ صمّوهُ اليهم ورحّبوا

فان شئتِ أرسلنا اليه

ليـلى : إبعَثْ ادْعُهُ وجِئنابقاضى نَحدٍ اليومَ يكتُب

ابن عوف :

تجاوزت ليـلى غايةَ السُخْط فاذكرى

عواقبَ رأى قد رأيتِ سخيفٍ

ليلى متهكمة :

أكنتُ ابنَ عوف غيرَ أنثى ضعيفةٍ

تنـاهتْ لرأى فى الأمور ضعيف

ابن عوف :

أرى وقفتى ياليلَ كانت شريفةً ولكنْ جزائى كان غيرَ شريفِ

ليـلى :

أنظِّفُ ثوبى يا أميرُ فطالما ظهرتُ به فى الحىِّ غيرَ نظيف

ابن عوف :

لئن كنتِ ياليلى بوردٍ قريرةً فانى على قيسٍ لِجدُّ أسيف

« ثم يخاطب أباها »

الآن بحفظ الله يا سيدَ الحمى لقد طال لُبثى عندكم ووقوفى ووُقِّفت يا ليلى

ليـلى :

لقد كنتَ سيدى حليفالقيس،هل تكونُ حليفى!

ابن عوف :

سألتِ مُحالاً إنما جئتُ خاطباً لورد القوافى لا لورد ثَقيف!

« يخرج من باب الخباء ويشيعه »
« المهدى الى ما وراء شجر اللان »

ليـلى :

رباهُ ماذا قلتُ ! ماذا كان مِن شأن الأمير الارْيَحِىِّ وشانى ؟

فى موقفٍ كان ابنُ عوفٍ مُحسناً فيه وكنت قليلةَ الاحسان
فزعمتُ قيساً نالنى بمَساءةٍ ورمى حجابى أو أذالِ صيانى
والنفسُ تعلَمُ أن قيساً قد بنى مجدى وقيسٌ للمكارم بان
لولا قصائده التى نوّهن بى فى البيد ما علمَ الزمان مكانى
مجدٌ غداً يُطوَى و يفنىَ أهله وقصيد قيسٍ فىّ ليس بفان
ما لى عِضِبْتُ فصاع أمرى من يدى
والأمرُ يحرجُ من يد الغضبان
قالوا انظرى ما تحكمين فليتنى أبصرتُ رشدى أوملكتُ عِنانى
ما زلتُ أهذِى بالوساوس ساعةً حتى قتلت اثنين بالهذيان
وكأننى مأمورةٌ وكأنما قد كان شيطانٌ يقودُ لسانى
قدّرتُ أشياء وقدّر غيرها حظٌّ يحُطّ مصايرَ الأنسان

« ستـــار »

الفصل الرابع

المنظر الأول

« حول ديار بنى ثقيف ، فى قريه من قرى الحى ، حيث اجتمعت »
« طائفة منهم للمعاوة بقيس وهو بهيم على وجهه صالا فى الفلوات ، »
« وبينهم سات منهم فى شكل إنسى جميل الثياب يتردى الحرير »
« من فرعه الى قدمه ، وعلى رأسه عقالان من الحرير المحلى »
« بالذهب ، هو الأموى سيطان قيس — الجميع ينشدون ويرقصون »

« نشيد الحى »

هذا الأصيلُ كالذَّهبْ يسيلُ بالمرأى عجبْ
على الوهادِ والكُثُبْ

لرقصُ يبعثُ الطربْ هلمَّ يا حنّ العربْ
هلمَّ رقصهَ اللهَبْ إذا مشىَ على الحطبْ
نحن نمو جهنَّمـــا نعلى كما تعـــلى دَمَا
ننـــور فى الأرضِ كما ثارَ أبونا فى السما
نحن نمو لجبـــارِ العـــلَم المنـــارِ

إبليسَ بكرِ المـــار ... يا عرَّ من لهُ انتمى
نحن الرُّعُودُ القاصفهْ ... نحن الرياحُ العاصفه
والطلمـــاتُ الزاحفه ... عرمرَماً عرمرَماَ
لنا وما لنا صُوَرْ ... نرى ونسمعُ الشرر
ولا يَروْنَ من حَضَرَ ... منا ومن تكلما
نقول حينَ نصطدمْ ... سادةٍ أو يحلدم
صمم صمم صمم صمم ... عمى عمى عمى عمى
هبيد : فبمَ اخصصْتنا هَهَا ؟ ... يا عصْرَفُوتُ ما الخبر ؟
عضروت : لا أدْرِ . . . تلك صحةٌ ... حصرتُها فيمن حضَرْ
فسل أحالاً عَسَراَ
هبيد : ... ماذا همالك يا عسَرْ ؟
عسر : نحن مسوقونَ الى ... ما ليسَ يدرى كالبفرْ
الاموى : بى الجنّ فى أرضكم عابرُ ... من الإنس يرسُفُ فى ضُرِّهِ
فقالوا به واعلموا أنه ... فتى بهَّ الشِّعْرُ من قدرِه
هبيد : وأينَ تُرَى هـــو ؟

آخر : ما ذا يكون

الاموى : ومادا يهمّك من أمره

ألم تعلموا أن لى صاحبا من الانس أحكُمُ فى شعره

هند : أحل أنت تُوحى له ما يقولُ وتقدفُ ما سئت فى فكرِه

الاموى :

إذن فاعلموا أنه عاشق تَملّأنْ البيدُ من ذكره

عاصف: وأعلم أن الهوى واحد حوى المسهامْين فى أسْره

وأن التى سحرت قلبه مدلّهةُ القلب من سحره

الاموى :

وانى لأكْفلُ ليلى له وأصرِفُها عن هوى غيره

سَهِرْتُ على طُهر لبلى الزمانَ ولم أغمِض العينَ عن طُهره

صرَفتُ عن الحب حتى الزواجَ وما قدَّسَ اللهُ من سِره

ولو أنّ عينى تَشفُّ القبُورَ سهِرتُ على الحبِّ فى قبر !

عصرفوت :

ومن يكون

الامرى :

قيس

عصرفوت: من قيس ؟

عاصف : وهل يخفى القمرْ !

الشاعرُ الذى سحر والساحر الذى شَعَر

حَنجَرةٌ لنـــا وترْ منهـا وللأنس وتر

هبد : وما لنا يا عصرفوتُ ولِفتيانِ الشرْ ؟

وما لقِينـا منهمو ومن أبيهم غيرَ شر؟

عصرفوت : بى الجنّ اسمعوا أبِكم زكامٌ

جى : ولِمْ ؟

عصرفوت : نَتَنَتْ لعمركُموا الجواء

آخر : وما فى الجو ؟

عصرفوت : ريحُ آدميّ

ففيه نَتانةٌ وله ذَكاء

إذا البشريُّ مرَّ علىّ يوماً فقَد مرّت علىّ الخُنْفَساء

حى : أجل بعداوةِ الشَرِ أبتُلِينا وطال بها التَرسُّمُ والعَناء
مصى بالكبر إبليسٌ أبونا وكلُّ تراتِ آدمَ كبرياء
يَعيب رحالُهم فيقال عنا وتَدْفِنُ عارَهَا فينا النساء
وان عَجزَ المطبُّ قال داءٌ من الجنِّى ليس له دواء
وان قَفَزَ صعارهمو فرلّت فما معشرَ الجنِّ البلاء
وخِفنا من أذاهم فاحتجبنا فما عصم الحجاب ولا الخفاء
وكم منعوذٍ بالله منا تعوذ الأرضُ منه والسماء!

عصرفوت: وفدتكم من الناس التجنى وننسى ما جناه الأبناء

حى : أَرُسْلُ اللهِ أيضاً من عِدانا

عصرفوت: أحل هم فى عداوتنا سَواء

بى فحماً سليمانٌ وصخماً ولولا الجنُّ ما نهضَ البناء
بسيما تدمرَ الكبرى بأيدٍ فهل تدرون ما كان الجزاء؟

حى : وما كان الجزاء ؟

آخرون : أبِنْ !

عصرفوت : عذابٌ

وسجن ما لمدّته انقضاء !

فتحتَ الماء

حى : تحتَ الماء ؟

عصروت: عانٍ

عليه طلاسم وعلمه ماء !

وفى حوف القماقم لو علمم

آخرون : وما دا فى القماقم ؟

عصروت: آرياء !

حى : ومن ذا زجَّهُم فيها ؟

عصروت: أميرٌ

علينـــــا لا يُردّ له قضـــاء

بنى فهو عدلٌ حيث يُقضى ومَلْكٌ فهو يفعلُ ما يشاء !

عاصف : قس يا قومُ مسكمو لبس قيسٌ من البشر

حى : قيس منا وإنما فى بنى عامرٍ ظهر

آخر : إننى قد رأيتُه يتفلّى على الشجر

ثالث : وسمعناهُ قد عوى عَوَّةَ الجنِّ واستتر

رابع : أنا أيضاً رأيتـــــه ركِبَ الظبيَ فى السفر

عاصف ـ متطلعا : تعالَوْا فانظروا

« يتطلع الجميع الى حيث يطير »

حى : ماذا ؟

آخر : عجيبٌ

عصفوت : نرى شبَحاً يُدحرِجُه الفضاء

أقيسٌ دا ؟

عاصف : نعم هو فاستعدوا فقد وجب التحفزُ واللقاء

« هبط جم آخر »

نأمّلْ قبسا المضنى تحدْه من الدَّوبان أصبح كالخيَالِ

الآخر : لقد صلّ الطريقَ أما تراهُ يُصفّق باليَمين و بالشّمال ؟

وقد قلَبَ الثيابَ عليه نَهْجاً على عاداتهم عند الصلال

« يظهر قيس ويلتفون حوله ويسجدون »

سلامٌ مَلِكَ الحبِّ وسلطانَ المُحبينا

وأهـلا وعلى الرحبِ لقـد شُرِّفَ وادينـا
أتى الحنُّ من الوادى يُحيّـوبك بالورد
حدا ركبهم الحـــادى الى بادبك من بُعْدِ

« يتلفت قيس ذات اليمين وذات الشمال »

رَبِّ الى أين انتهب بىَ السُّرى وأىَّ وادٍ أنزلتنى يا تُرى
عساىَ فى الشام لعلِّى جُرتُه أو أنا بالطائف أو أين أنا ؟
وهذه المُسوخُ حولى حِنَّةٌ أم عملُ الوهم وتهويلُ الكرى
لا ، أنا صاحٍ

« يتحسس جسمه »

هـذه رِجلِى وذِى يدى وذاك مُقلِى يَقظَى تَرَى
ولِم لا آمِنُ بالجن وأنْ تكون للجنّة كالناسِ قُرى؟
لا أدّعى معرفةً بعـالمٍ طاهرُه أكثر منه ما احتفى

« يمسح جبينه ويعيد النظر والتطلع »

تلك منَ الجنِّ لعمرى شِرذِمَهْ وهـذه خيلهمو المُسوَّمَـهْ
نعامة كالفرَس المُطهَّمَهْ وأربدٌ مُسرَجَةٌ ومُلجَمه
وقُنفُذٌ وظَبيةٌ وشَيْهَمَهْ

يا عجبا كلّ العجبْ ! الجنُّ منى عن كَثَبْ
سودٌ دقاقٌ فى العيون كالدُّخانِ فى الحطب
يحرِقُ من أفواهها ومن عيونِها اللهب
من كل مَن حال بقَر بُبْه وصال بالذَنب

الجاد : رِبِّ الحبَّ لا نَخش أذى أو شِرَّةً منا
عَطفْتَ الطيرَ والوحشا فلِمَ لا نَعطِفُ الحِنا ؟
وسَلْ حسّان والأعشى وشيطانَيْهما عنا

الاموى :

تركتُ ورائى الشامَ لم أنتفعْ به ولا هو من سوقى القديم شفانى
وعدتُ الى نجدٍ أقاسى صبابتى ووحدى كأنى ما بَرِحتُ مكانى
تركتُك ليلى فانفحرتِ ليالبا مؤلفةَ الأسكالِ حدَ حِسان

فلم يَخْلُ سيْرى منك يوماً ولا السُرى
ولم يحلُ من تمثالِكِ القمران

على كل أرض من هواكِ سوارحٌ ملأنَ سيلى أو مَلكن عِنانى
(وأجهشتُ للتوْناد حين رأينه وكبّر للرحمنِ حين رآنى)

« نبي الحب لا تخش أذى أو شرة منـا »

(صفحة ٨٢)

(وأذريتُ دمعَ العين لما عرَفتُه ونادى بأعلى صوتِه فدعانى)

« يدنو منه قيس ويتأمله »

قيس : لنفسه : يا ويح عينى ما ترى ؟ وويحَ اذْنى ما تَعى !
وأين عقلى ؟ عاب عنى اليومَ أو عقلى معى ؟
الشعر لى مُذ قلتُه من شِعتى لم يُسمَع
من دا الذى أوْحَى به لذا العلامِ المُدّعى ؟

« يقترب من الشاب ويأخذ فى انشاده »

عقالان يَمانيّانِ مِنْ وَشْى وعِقيانِ
يُضيئان كلمْحِ الشمس فى حلدةِ ثعبان
وأين الشفقُ الأحمرُ من مِطْرَفِكَ القانى ؟
وقد تقرُب فى الروْ عةِ من أملاكِ غسّان
وقد تبلُغُ فى الشعر الى رقةِ حسّان
فما شأنك يا هذا ؟

الاموى : وما يَعنيكَ مِن شأنى ؟

قيس : أرى سارِقَ أشعارِ جريئاً ما له ثارِ

فقد يُسطَى على بيتٍ وقد يُسرَق بيتان
ولا يَنتحِل الإنسان أبياتاً لإنسان
وما أنشَدْتَ من شعرٍ فمن صنعى وإحسانى
ولم أهتفْ به بعدُ ولم تَسمعه اذْنان
فمَن أنت ومِن أين أتتْ اذنيك ألحانى ؟

الاموى : أنا الملقى عليك الشعرَ مِن آنٍ الى آن
أنا الهاجس والشيطان

قيس : لا ، لا ، لستَ شيْطانى

« ثم يناجى نفسه »

أحلْ سمِعتُ باسم شيطانى ولكن لم أرَهْ
أبى وأمى حدّثا نى فى الليالى خبرَهْ

« يعود الى خطاب الأموى مترددا »

ألستَ أنت الأمويَّ ؟

الاموى : لا تخَفْ أن تذكرَه

قيس : ما أنت إلا صورةٌ فى عصبى مُصوَّره

وعبثٌ لو كان عقـــــلى حاضراً لأنكره

« قيس ــ وهو يسكت الارض بعود »

ويحى أقيسٌ واحد أم نحن قيســان هنا ؟
وأيُّنا الشــاعر هــذا الأمــويُّ أم أنا ؟
أم الذى بى وبه من عَبَثِ السحر بنا ؟
أم أنا محنون علَـــــىّ حبُّ ليلى قد حنى

الاموى : قيسْ

قيس : لبيكَ قبس

الاموى : ما أنا قيس

قيس : من إذَن ؟

الاموى : قلتُ إنَّنى شيطانهْ

قيس : قبس من آدمٍ ما أنت منه

الاموى : أنا من قيس عامرٍ وجدانهْ

قيس : أنت وجدانى؟ إستعذتُ بربى منك

الاموى : لا تستعذ به جلّ شانهْ !

هكذا شاء: كلُّ شاعر قومٍ عبقريُّ اللسان نحن لسانه

« قيس مشيحا بوجهه ومطرقاً »

يا عجبا أصبحَ بالجنِّ لســـــانى يعمرُ !
وصرتُ ينهى ماردٌ على فمى ويأمرُ
ما لسانى لا يطولُ ؟ ما له لا يقصرُ ؟
يا ليت شعرى كيف لا يحرُجُ منــه الشرَرُ ؟

« الأموى ـ واضعا يده على كتف قيس »

عــلامَ قيس فيم أنـــــت مُطرقٌ مفكّرٌ ؟
فى خبرى ؟

قيس : أجل وما صدقتَ فيما تُخبرُ
ليس لســـــانى مارداً إن لســـــانى بشَرُ

الاموى : قل وحدك الشعرَ إذن !

قيس : تطنى لا أقْدِرُ ؟

الاموى : جرِّبْ إذَن قلْ أرنا يا قيسُ كيف تَشْعُرُ !

قيس : وما تُحبُّ ؟

الاموى :

قريةُ الجنِ وهـــذا المنظرُ

أليس فيما أنت راءٍ قيسُ ما يؤثِّر ؟

قيس : إسمع إذن يا أمويُّ !

الاموى : إنى أنتظر

قيس : وحوهُ تَصوّرُ ، وفضاءٌ يزهرُ ، ورمال فى مطارح البصر تزخَرُ !

وقريةٌ تموجُ بالجنِّ كأنها عَبْقَرُ !

« الأموى ضاحكا »

قه قه ! تعالَوْا واضحكوا !

« تضحك جماعة من الحى »

قيس فى غضب : قه قه . . أمنِّى تسخَرُ ؟

الاموى : ما هكذا ياشاعر الـــبيدِ البيوتُ تُكْسرُ

جمى آخر : إنك لا تَنظِـمُ يا قيس ولـكنْ تنثُرُ !

الاموى : مالك قيسُ مُفحَماً هـذا لعمرى الحَسَرُ !

لا يُفحَمُ الشاعرُ لكن يُفحم الشّـوَيْعِرُ
مالك كالعُود الذى أدبرَ عنـه الوتَرُ ؟
ما للقوافى الآنسات منكَ قسُ تنفرُ ؟
كيف ترى لسانَك الـ آن

قيس : علبـه حجرُ !

أتتَ على منسـاعرى وشعرىَ المسيْطرِ !
إن عبت عاب حاطرى و إن حصرتَ يحصُرُ

الاموى : الآن لاتُنكرُنى قيس وكنت تُنكِر !
عجِبْتَ كيف يحنفى الجنُّ وكيـــف تطهرُ
يا قسُ هـدا عالمٌ طِينتُه التحـــبُّرُ
تطغَى على رائدها صحْـــراؤه وتعمُرُ
وعاية المُعْنِ فى نظامهِ التحـــيّرُ
مهما علِمت عنه فالد ى حهِلْتَ أكثرُ !

قيس : يا أخَا الجنّ لئن كنتَ أخاً لى وحليلاً
أنا فى أعمـاءِ أرض لا أرى فيها السبيلا

الاموى : أين تبغى قيس ؟

قيس : ليلى كن الى ليلى الدليلا

الاموى :

ملْ يميناً با أنا المهـــــدىِّ ثم امشِ قليـلا
تجـد المنزلَ والمـــــا ءَ الذى بَشفى العليلا

« سطاق قيس آحداً نسمه مهرولا »

المنظر الثانى

« فى حى بى ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قبيل — »
« ورد مضطجع على الرمل وبجانبه يجلس رفيق من رفقائه — يفقرب قيس »

قيس : إن قلبى لمحـــبرى أن هاتيـكَ دارُها
أنا بالطـائف الذى قـرّ فيـــه قرارها
فى ثقيف تنقـلى وثقيف ديارهـــا
ما لساقى جَرَرْتُهـــا فتعـــابى انحـرارُها
ولقلبى يقـــول لى قد تدانى مزارُها
كيف لا أهتـدى لليـــلى وفى القلب نارها

ليت ليـلاىَ نُبِّئتْ أننى اليومَ حارها

« يتيم وردا وصاحبه »

عجبٌ !هُديت الدارَ بعد صلالة ما كان شيطانى علىّ كذوبا
هذى منازلُها وذلك بعلُها بعثَتْ الىّ ديارُ ابلى الطّربا
هذا عريمى وردُ أشقرَ كاسمه انراه ألُبس حلدَه مقلوبا !
ما بالهُ افترش الأديم كأنه بغلٌ يُعفّر فى التراب حنوبا !

« رفيق ورد »

ورد أرى من المدَى القريبِ شخصاً يدبُّ محونا كالذيب
على خُطاه خَشيةُ المُريبِ

ورد : لِمْ لا تقولُ حَيْرة الغريب

لعـله ابنُ سبيل يمـرُّ بالحى مَرَّا
إنى أراه ســـــقيما يحرُّ ســاقيْه حرا

« ينهض من رقدته قلقاً »

الرفيق: عرفتَ مَن هو ؟

ورد : قدسٌ به الغـــــرامُ أضرّا

الرفيق: قيس ؟

ورد :أجل

الرفيق: كيف أفضَى اليك ؟ كيف تجرّا

ورد : دعى وقيساً وشأنى لعل فى الأمر سرّا

« ينصرف الرحل ويلاقى ورد وقيس »

قيس : أهذا أنت وردَ بى ثَقيفِ ؟

ورد : نعم والوردُ ينبتُ فى رباها

قيس : ولِمْ سُمّيتَ وردا لم تُلَفّتْ بقلاّم العشيرة أو غَصاها !

« ورد — فى سكون وحلم »

وما صرّ الورودَ وما عليها ؟ إذا المزكومُ لم يَطعَمْ شذاها

قيس : (بربّك هل صممْتَ إليك ليلى قُبَيلَ الصبح أو قَبلتَ فاها؟)

(وهل رمّتْ عليك قرونُ ليلى رفيفَ الأُقحُوانَةِ فى بداها؟)

« ورد — بعد فترة سكون »

نعم ولا ياقيس

قيس : بل لا بدّ من لا أو نعمْ

ورد : هبْها نعمْ يا قيسُ هل مع الحلال من تُهَمْ ؟
المرْءُ لا يُسأل : هل قبّلَ أهله ؟ وكم ؟
أحل لقد قبّلتُها من رأسها الى القدم

قيس عاضاً:

تلك لعمرى قُبلةُ الحُمىّ بلاءٍ وسقمْ !
أو قُبلَةُ الذئبِ إذا الذ ئبُ على الشاة جثمْ

« يتراجع قليلا وكأنما تحدث نفسه »

قلبى يقول لىَ : لا ! يا صدْقَهُ فيما زعم !

ورد : إذن تعالَ قيسُ واسمعْ فى أناةٍ وكرمْ
لا تحلنّ العصبَ الجائرَ بيننا الحكَمْ
إسمع حديثى إنه ما خطَّ مثلَه القلم
وسِرُّه لا الأهلُ يد رون به ولا الخدَم
أنا الذى ظُلِمتُ قيس ما أنا الذى ظَلَمْ
أليَّةً وما علىّ لك يا قيس قَسَمْ
كم مرَّتِ الليلةُ بى والليلتان لم أنم
منذُ حوت دارىَ ليلى ما خلوْتُ من ندَم

كانت إطافتى بها كالوثنىِّ بالصَّنم
وربما حئتُ قِرا شهَا فخانتنى القدم
كأنها لى مَحْرَمٌ ولبس بيننا رَحِم
شعرُك يا قيسُ حنى علىّ هذا واجترَم
هيّهات فامتنعتْ كأنها صيدُ الحرَمْ
وهمّتها للحبّ والشعرِ وفبسٍ والألم

قيس : ولكن تعالَ تَرَىَّ تفيضِ أَبِنْ لىَ ما لم تُبِنْ تعالَ
تقولُ لقَبتَ بشعرى الشقاء وجرّ عليك بيانى الوبالا
لقد قلتَ قولا فأوجزتَه فبالله إلا شرحت المقالا

ورد : إذن . أَصغِ قيس

قيس : قل الصدقَ وردُ

ورد : وهل كان لى الصدقُ إلا خلالا
فلولاك ما اخترتُ الا تَقيفاً ولم أُلق للعامريّات بالا
ذهبتُ بشعرك منذ الشباب اغنّى القِصار وأروى الطِّوالا
أرى بين ألفاظِه ظِلَّ ليلى وألمحُ بين القوافى الخيالا

فلما رُدِدْتَ وقيل القصائد ... والعشقُ بين المحبَّيْن حالا
حرجتُ الى حيِّها خاطبا ... ولم أدَّخِرْ ذون مسعاىَ مالا
بيثْنُ بها فتهيبتُهـــــا ... وآثُرامرىءِ هاب قبلى الحلالا
فشعرُك ياقسُ أصلُ البلاء ... لقيتُ به و بليلى الضـلالا
كساها جمـالا فعُلِّقتُهـا ... فلما التقينا كساها جلالا
إذا حثْتُها لأنالَ الحقـوقَ ... نهنى قدَاستُها أن أنالا
أمْسِكْ أبا المهدى !

« يستحيل كلامه الى همس . اذ تبدو ليلى على باب الخباء »

أنظُرْ هذه ... ليلى علينا طلعتْ من الخبا

« ثم ينادى بصوت متهدج »

ليلى تعالىْ أسرعى قيسٌ أتى ... ليلى هناكِ ، مَنْ تحبِّين هنا
قيس : أمازحٌ باوردُ قل لى أنت أم ... تَسخَرُ منى أم تُرَى تَهزَا بنا؟
ورد : بل قلتُ جدًّا لم أقل مُهازلا

« قيس ــ هاما بالذهاب اليها »

إذن فدعْها لاتُجشِّمْها الخُطا

« ورد ــ وليلى تقترب »

إسمعْ أباالمهدىّ همسَ خطوها ... كأنه وَطْءُ الغزال فى الحصا

دعوتُ فاهتمّتْ ولولم أدْعُها ... لوَجَدتْ ريحَك من أقصى مدى

قيسُ تتبّتْ واسنعدّ، هى ذى ... أتتْ، فلايذهبْ لُبُكّ اللقا

الآن أمضى لسبيلى

قيس : بل أقِمْ ... إلبثْ أعنىّ، إننى خُرنُ قُوَى

ورد : قيسُ أرى الموْقف لا يجمعُنا ... أنا حبيبُ القلب، والروجُ أنا

يا لكما مى ويا لى منكما ! ... نحن الثلاثهَ ارتطمنا بالقصا

« ينصرف وتمل ليلى على قيس »

قيس : ليلاى ، ليلى القلب

ليلى : قيس مالى ... دارتْ بى الأرضُ وساء حالى؟

قيس : فداك ليلى مهجتى ومالى ... من السقَّام ومن الهزالِ

تعالىْ اشكى لى النوى تعالِى ... ألفى ذراعيْك على خيالِ

« تصافحه بشوق »

ليلى : أحق حبيبَ القلب انت بجانبى ... أحلمٌ سرى أم نحن منتبهان ؟

أبعد تراب المهد من أرض عامرٍ ... بأرض ثقيفٍ نحن مغتربان؟

قيس : حنانيْكِ ليلى ،ما لِحِلٍّ وخِلِّه من الأرض الا حيث يجتمعان
فكلُّ بلادقرَّبتْ منكِ منزلى وكلُّ مكانٍ أنتِ فيه مكانى

ليلى : فمالى أرى حدّيْكَ بالدمع بُلِّلا أمِنْ فرَحٍ عيناكَ تنتدران

قيس : فداؤكِ ليلى الروحُ من شرِّ حادثٍ
رماكِ بهذا السُّمِّ والذَّوَبان

ليلى : ترانى إذن مهرولةً قيس؟ حمدًا هُزالى ومَن كان الهزالَ كسانى

قيس : هو الفكرُ ليلى ،فيمن الفكر ؟

ليلى : فى الذى تخفّى

قيس : كفانى ما لقيتُ كفانى

ليلى : أأدركتَ أن السهم يا قيسُ واحدٌ
وأنّا كلينْا للهوى هدفان ؟

كلانا قيسُ مَذبوحٌ قتيلُ الأبِ والأمِّ
طعينان بسكّينٍ من العادة والوهم
لقد زُوِّجتُ ممّن لم يكن ذوْقى ولا طَعْمى
ومن يكبُرُ عن سنّى ومن يصغرُ عن علمى

عريبٌ لا من الحيِّ ولا من وَلد العمِّ
ولا ثروتُهُ تَربِي على مال أبي الجَمِّ
فنحن اليومَ في بيت على صِدَّيْن مُنصَمِّ
هو السجنُ وقد لا يـنطوى السجنُ على طلم
هو القبرُ حوى مَنْـن حارَيْن على الرّغم
ثنايتين وإن لم يَبْـعُدِ العَظْمُ من العَظم
فان القرب بالرُّوح وليس القربُ بالجسم

قيس :

تعالَيْ نَعِسْ ياليلَ في طل قفْرَةٍ من البيد لم تُمقَلْ بها قدمان
تعالَيْ الى وادٍ خَلِيٍّ وجَدْولٍ وربّةِ عُصفورٍ وأيْكَةِ بان
تعالَيْ الى ذكرى الصِّبا وحنونه وأحلام عيشٍ منْ دَد وأمان
فكم قُبلة ياليلَ في مَنْعة الصِّبا وقبلَ الهوى ليست بذات معان
أخذْنا وأعطيْنا إذ البَهْمُ ترتعي وإذ نحن خلف البَهْم مستتران
ولم يكُ ندري يومَ ذاك ما الهوى ولا ما يعودُ القلبَ من خفقان
مُنَى النفس ليلى قرّبي فاك من فمي كما لفّ منقاريْهما غَرِدان

نَذُقْ قُبلةً لايعرِفُ البؤسَ بعدها ولا السَّقمَ رُوحانا ولا الجسدان
فكلٌّ نعيم فى الحياة وغبطة على شفتينـــــا حين تلتقيان
ويحفُقُ صدرانا خفوقا كأنما مع القلب قلب فى الجوانح تان

« تنفر ليلى »

ليـلى : وكيف ؟

قيس : ولِمْ لا ؟

ليـلى : لستَ ياقيسُ فاعلا ولا لى بما تدعو اليه يدان

قيس : أتعصِيمى ياليلَ ؟

ليـلى : لم أعصِ آمرى ولـكنّ صوتاً فى الصمير نهانى

* * *

ووردُ ياقيس؟ وردٌ ماحفَلتَ به لقد ذَهلتَ فلم تحفلْ له شانا

« قيس : غاضبا »

تَعنين روجَكِ ياليلى

« ليلى : منكسة رأسها »

نعم

قيس : ومتى أحسنْتِ وردا؟ترَى أحسنتهِ الآنا!

ليـلى : فيمَ افتخارُك ؟

قيس : من كيدٍ فُجئْتُ به

لـيلى : إنى أراك أنا المهدى غيْرانا

وردُ هوالزوجُ ، فاعلمْ قيسُ أنله حقاً علىّ أؤدّيه وسـلطانا

قيس : إذن تحابيتما ؟

ليـلى : بل أنت تظلمنى فما أحبّ سواك القلبُ إنسانا

ولستُ بارحةً من داره أبدا حتى يُسرِّ حَنى فضلا و إحسانا

نحن الحرائرَ إن مال الزمانُ بنا لم نشكُ الا إلى الرحمن بلوانا

قيس : بل تذهبين معى !

لـيلى : لا ، لا أحونُ له عهداً،فما حادعن عهدى ولاخانا

فتىً كنبعْ الصفا لم يختلفْ خلُقاً ولا تلوّنَ كالفتيان ألوانا

« قيس : متهكماً »

أراكِ فى حبِّ وردٍ جِدَّ صادقةٍ وكان حبُّكِ لى زوراً و بهتانا

ليلى : قيس !

« قيس : صارخا »

أتركينى بلادُ الله واسعةٌ ! غداً أبدّلُ أحبابا وأوطانا

« يحاول أن يتركها فيمسك به ليلى »

ليلى : العقلَ يا قيس !

قيس : لا خَلَى الرداءَ دعى

« ثم يفلت منها ويندفع الى سبيله »
« تاركا اياها باكية فى هيئة استعطاف »

ليلى : وارحمتاه لقيسٍ عاد ما كانا !

واهاً لقيسٍ وآهٍ ما صنعا ؟ أكثرَ قيسٌ بلواى والوجعا

« تدخل عفراء »

عفراء عندى

عفراء: لبّيْكِ سيدتى الصبرَ واستدفعى به الجزعا

ليلى : لقد سمعتِ الحديث كيف إذن صبرى على ماجرى وماوقعا ؟

قلتُ لقيسٍ مقالَ مشفقةٍ لم يُلقِ بالاً له ولا سمِعا

وقيسُ ذو جِنَّةٍ وإن زعموا جنونَه مدَّعًى ومصطنعا

تحير الناسُ فى جنون فتى لا عقلَ الا بشعره لعا

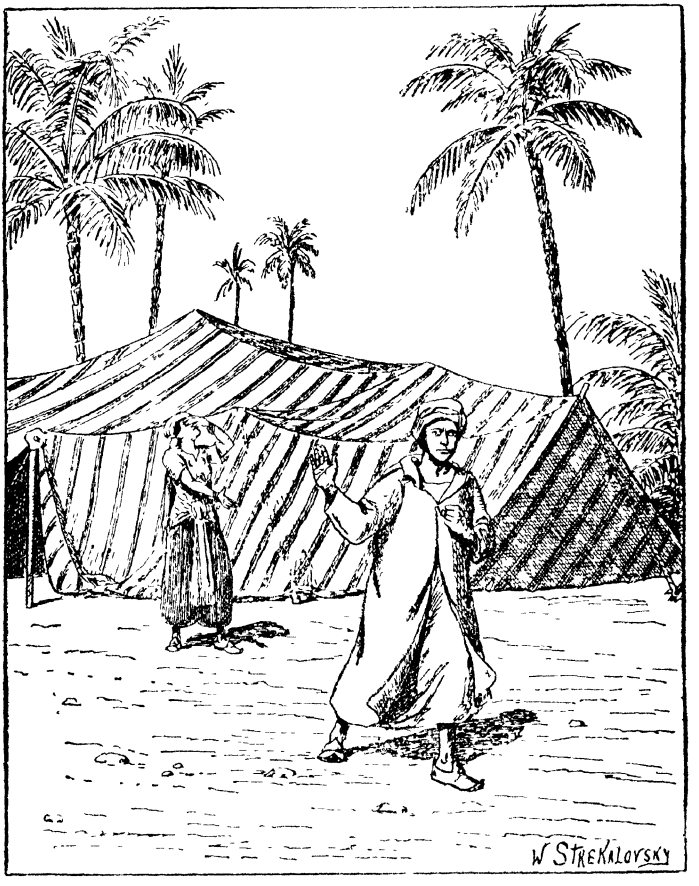

« . . . . اتركيني بلاد الله واسعة غـداً أبدل أحباباً وأوطاناً »

(صفحة ١٠١)

واللهِ لو حاء فى محاسـنةٍ يسألُ وردَ الطلاقَ ما منعا
فوردُ يا عفر لا كِفاءَ له مروءةً فى الرحال أو ورعا

آه من السقم

عفراء: ألفَ عافيةٍ
ليلى : آه من الحادثاتِ
عفراء : ألفَ لعا
ليلى : أناعُذريّةَ الهوى أحملُ العبْء وإن ناءَ بالصبابة جهـدى
المحبّاب ما بكيْن كدمعى فى اللبالى ولا أرِقن كسهدى
ويح قيسٍ وويحَ لى أى نارٍ للمقادير عند قيسٍ وعندى
أتعب الحىّ داءُ قيسٍ ودائى وتعايى الدواءُ كُهّان نَجد
لا الحوامسُ تصرفُ الجنّ عنا
حين تُتلى وَلا رُقىَ السحر تُجدى
أبقيسٍ وبى هوى عبقرىٌّ يَسلُبُ العقلَ من ذويه ويُردى
عِلّةُ السيد من قديمٍ ودائه ضاعَ فيه الرُّقى وحار المُفَدّى
ما سـلاحاه حين يقتلُ إلا من عفافٍ ومن وفاءٍ بعهد
لم تُعَذَّبْ بالحب عذراءُ قبلى كعذابى ولن تعذَّبَ بعدى

عفراء: هى عـذراء ؟ ربىَ اشهدْ

ليلى : أجلْ عذراء حتى يصمَّنى ركنُ لحدى

عفراء: والذى أنتِ تحتَه ؟

ليلى : تحت بعل غيرِ ذى جَفوةٍ ولا مستبد

راعنى اللومُ من جميع النواحى فتواريْتُ فى مُروءةِ ورد

«يقبل ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول »

ربِّ ماذا سمِعت؟ ليلى شكورٌ لك نفسى الفِداء يا بنت مَهدى

ليلى : ورد

ورد : لـيلى

ليلى : رُحمـــاكَ وردُ وعفـوا كنتُ أخفى الجوى فأصبحتُ ابدى

ورد : ما لليلى ؟ ما ذا أثارك ليلى ؟ هدئى روْعَكِ المُفزَّعَ هدِّى

ليلى : الداء يا ورد فىّ مجتهـد ملتهِمٌ هيكلى وما شبِعا

أصبحتُ لا أشتهى الطعامَ ولا يَحمدُ جنبى الىّ مضطجعَا

قلبى من اليأس حين حلَّ به أحسُّ يا وردُ أنه انصدعا

لم يحمِلِ اليأسَ ساعةً ولقد كان بما حمَّلوه مصطلِعا
المتمنى بالعيش منتفِعٌ ولن ترى يائساً به انتفعا
القدرُ اليومَ والقضاءُ على حربك قيسُ وحربى احتمعا

« ســـــتار »

الفصل الخامس

« مقابر على سفح جبل التوباد فى طريق عام على مقربة من حى بنى »
« عامر يبدو من بينها قبر جديد ما زال أشخاص من الحى يهيلون »
« عليه التراب ويضعون الأحجار ، ومن حوله كثير من رحال الحى »
« وفتيانه وصغاره يرى بينهم المهدى وورد وكلهم باك أو حزين — »
« يبدأ المشيعون فى الانصراف وهم يعزون المهدى ويصافحونه واحداً »
« بعد واحد ويمرون على ورد مروراً »

معز : إنا لله أنا ليلى

آخر : صبرٌ آبا ليلى جميل

« فى أثناء انصرافهم يمر رجل فى الطريق »
« فيسأل صبياً من صبيان الحى فى ناحية »

المار : قبرُ مَنْ يا صبى ؟

الصبى : قبرُها يا أبى

المار : إمرأة ؟

الصبى : نعم

المار : ومَن تكونُ ؟

« الصبي مشيرا الى المهدى »

بنتُ ذا الرجل

ليلى ابنـةُ المهدِى ألستَ من نجدِ ؟

صبي آخر : أجلْ قد دُفنتْ ليلى وما جفّ لها لَحْدُ

ودا الشيخ أبو ليلى ودا صاحبُهـا وردُ

هنا الوالدُ والروجُ

المـار : وقيس ؟

الصبى : لم يحىءْ بعد

« يقترب الرجل من المهدى فيعزيه »

المـار : مَهدىْ أحملْ حزعا

معز : يا أنا ليلى جَمالَكْ

آخر : عَزاءً أبا ليـــــلى

آخر : عراءً أنا ليـلى

آخر : صبرٌ أبا ليلى جميل

« صديق من أصدقاء ورد هامسا اليه »

لقد أحسنتَ يا وردُ وما للناس إحسان

يُعزُّون أبا ليـلى وما عزّاك إنسان
بل انظُرْ تَرَهم أقسى عليك اليوم ما كانوا
على الأوجُه بغصاء وفى الأعيُن عُدوان

ورد : مهلاً أخى وانظُرْ الى النـــــاس بعين مُنصِفِ
هم يأخذون ما بدا ويتركون ما خفى
طنُّ الحماعات فىَّ سوء ورأيُهم فىّ ما أصابا
يرَوْن أنى عدُوُّ قيسٍ أخذتُ ليلى منه اغتصابا
وزدنُ نفسيْهما شقاءً وزدنُ قلبيْهما عذابا
ليسأل الناس قبر ليلى فان فى قبرها الجوابا

« يلتفت الى المهدى بعد أن يعزيه آخر معز »

تجمّلْ أبا ليلى

« المهدى — مصافحا إياه »

تجمّلت طاقتى ولستُ بخوّارٍ قليل التجلّدِ
حَمَلْتُ فُضولَ الناس ياوردُ حِقْبةً إذا قمت من باغٍ عَثرتُ بمُعتدِ
يعيشون فى عرضى فمن كل مِعوَلٍ ومن كل مِقراضٍ ومن كل مِبرَدِ

وهـذا يحيّينى ويقطعُ فرْوَتى وهذا يُفدّينى ويهدِمُ سؤدَدى
ويا ورد لولم تُرْخ ستراً على ابنتى لظلّتْ بعرضٍ فى البوادى مبدَّد
حَفِظتَ ابنتى حفظ الشقيق ومُرِّضتْ
ببيتك تمريض الصعير المُمهَّد
وصيّرتَ ليلى فى حماكَ وخدرها كعذراءِ ديرٍ أو كدُمْية معبَد
لقد صنتَها يا وردُ فاذهبْ فما أنا بناسٍ لك المعروف أوجاحد اليدِ
وليلى فتـاةٌ حُرةٌ بنتُ حرّةٍ أحبّتْ غلاماً سيّدا وابنَ سيّد
وأعلمُ أنى كنتُ حربَ هواها وكنتُ مع الواشى وعَوْنَ المفنّد

« يلتفت الى القبر باكيا »

بظل الله يا ليلى

ورد : وفى بحبوحة الخُلْدِ

وهـذا نَجدُ يا ليلى فنـامى فى ثرى نجدِ

« يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر »
« العريض المغنى والشاعر ابن سعيد وأميه وسعد »

العريض : دنا الحىُّ يابن سَعيد وثمّ

ابن سعيد : وما ثمّ ؟

الغريض : أنظر يُجبْك النظرْ

ابن سعيد : قبورٌ ؟

الغريض :

أجل عارضتْنا القصور وعما قليل يُجيرُ الحُفَرْ

ابن سعيد :

وهل نحن إلا على حُفْرَةٍ هى الأرضُ أوهى قبر النَشر
محجّبةٌ بغرور الحياة يراها إذا غرغر المحتضَر

غريضُ: بصُرت بقبرٍ حديد

الغريض : وماذا سوى الموت فى ذا العَفَرْ ؟

ابن سعيد :

أخٌ كان يملأ أمسِ الهواء ويحيا الحياةَ ويجرى العُمُر
نزيلٌ لعمرى غريبُ الغِطاءِ غريبُ الوِطاءِ غريبُ الحُجَرْ
لدى منزلٍ كبيوتِ الكِرَاء مراراً حلا ومراراً عَمَرْ
يُزارُ كثيراً فدون الكثير فغِبًّا فينسى كأن لم يُزَرْ
وليس بنافعه الواصلون وليس بصائره من هجَر
فيا ميْتَ أمسِ عدتْكَ الرياحُ وحيّاكَ فى الفترات المطر

وأمسِ كعادٍ وان كان منك مُطيفَ الحيال قريب الصُّوَر
لقد نفض الليلُ منك اليدينِ وأدرك فيك النهارُ الوَطَ
وأمسيتَ تحت لواءِ التراب قهرتَ القصاء ودست القدر
تلفَّتْ وراءكَ أين الغرورُ وأين السرورُ وأين الأشَر
وأين مَعالِمُ عُرْسِ الحياة وأين سنا ليله المزدَهِر
وأين شبابٌ كحُلْمِ العروسِ ضَحُوكُ العَشِيَّاتِ طَلْقُ البُكر
وأين العداواتُ من سافرٍ مُبينٍ ومن كاشحٍ مُسْتترِ
وأين المودَّاتُ من صُحْبةٍ كنحلٍ يَحُمْنَ وأنت الزَّهرَ
قليلون عند امتناعِ القِطَافِ كثيرون عند رجاء الثمر
وكم مَن سَقَيْتَ بشَهْدِ الوداد فلم يَجْز الا بصابِ الإبر
ودُقْ سِنَةً لا ككلِّ السِّنَاتِ ونمْ ليلةً مالها من سَحَر
وقُلْ للصديقِ طوَيْنَا الحديثَ وقلْ للعدوِّ دفنَّا الخبر
وهيِّء مكانيهما في التراب فان ركابَهما مُنْتظَر

سعد : أميةُ ماذا ترى في الغريض؟

أمية : وماذا أرى في أميرِ الطرب؟

سعد : لقد علم الناسُ أن الغريضَ مُغنِّى الحِجازِ وشادى العربْ
ولـكن . . .

أمية : وماذا وراءَ « ولـكن ؟ » فمن شأنها أن تُثيرَ الرِّيَب

سعد : امحِّ اخفِضِ الصوتَ لايسمعَنَّ فيغضبَ فهو قريبُ العصب
وأُذْنُ المغنى تُحسُّ النسيمَ
وتَسمعُ فى الكأسِ جرسَ الحَبَب

أميّةُ إنى أخافُ الغريضَ وإن التَّطَيُّرَ بى قد ذهب

أمية : وأين تَرى الشؤمَ حولَ العريض
وكيف ؟

سعد : رُويدكَ تدرِ السبب

أليس الغريضُ يَهيجُ البكاءَ فلو رام دمعَ العروسِ انسكب
ترعرع فى بيئةِ النائحاتِ وعلّمنه النَّدبَ حتى نَدَبْ
ينوحُ بيثربَ آلَ الرسولِ ويُذكِى ما تمَ أهلِ الحَسَبْ

أمية : وأين يدُ الشؤمِ مما ذكرتَ وأىَّ بلاءٍ علينا جَلَبْ
وما هو إلا مُغنّى الحياةِ بناحيتيها الأسى والطرب

سعد : ولـكننا قاصـدو عامرٍ لنقضىَ حقًّا لِقيس وجب
ونسألَ عن عاشقٍ فى الديارِ طويلِ البلاءِ ثقيل الوَصَبْ
ومن زار بالنائحات المريضَ وأهلَ المريضِ أضاع الأدب

« يهيأ الفريض للغناء »

هو ذا هاج شـجُوه هو ذا يُرسـلُ النَّغَمْ
هـاتفٌ من نُواحِهِ رنّ فى القـاعِ والأكَمْ
هو فى كلِّ حاطرٍ وفؤادٍ صَـدَى الألم

« أنشودة العريض »

وادىَ الموت سـلامُ وسـقَى القاعَ الغمامُ
السماءُ القُدْسُ مِحرابُكَ والأرضُ الحـرامُ
أنتَ فى الصَّمتِ مُبينٌ ومن الصَّمتِ كلامُ
لم يَمتْ أهلُكَ لكن غشِىَ الليـلُ فـاموا
غُيَّبٌ لم نَدر ما صاروا ولا أين أقاموا

« يخرجون الى ناحية الحى من حيث يسمع آخر »
« الانشودة ثم يدخل من الجانب الآخر على أثر »
« اختفائهم ، قيس وزياد »

قيس : جبلَ التَّوْباد حيَّاك الحيا وسقى اللهُ صبانا ورعى
فيكَ ناغينْا الهوى فى مهده ورضَعْناه فكنتَ المُرضِعا
وحدَوْنا الشمسَ فى مَغربها وبكَرْنا فسبقنَا المَطلعا
وعلى سفحِكَ عِشْنا زمنا ورعينا غنمَ الأهل معا
هذه الرّبوةُ كانت مَلْعباً لشبابينا وكانت مَرْتعا
كم بنيْنا من حصاها أربُعاً وانثنينا فمحونا الاربُعا
وخططْنا فى نقا الرمل فلم تحفَظِ الريحُ ولا الرملُ وعى
لم تزَلْ ليلى بعينى طفلةً لم تزِد عن أمسِ الا إصبَعا
ما لأحجاركَ صُمًّا كلما هاج بى الشوقُ أبتْ أن تسمعا
كلما جئتُكَ راجعتُ الصِّبا فأبتْ أيامُه أن ترجِعا
قد يهونُ العُمُرُ الا ساعةً وتهونُ الأرضُ الا مَوْضعا

« يظهر بشر قادما الى المقبرة من ناحية الحى »

بشر : عزاءٌ قيسُ !

قيس : مَنْ ؟ بشرُ ؟

بشر : أجل

قيس : فيمن تعزِّينى ؟

أنا الميِّتُ يا بشرُ وإن أخِّرَ تكفيني

« يضطرب بشر وقد أدرك حهل قيس »
« وحرج الموقف ثم يميل هامسا الى زياد »

بشر : يجهَلُ قيسٌ موتَها ولم أَخَلْ أن يجهلَهْ
ويْحَ له وويْحَ لى ! ماذا عسى أقولُ لهْ
إن الحبيبَ نعيُه الى المحب مُعضلهْ
إنى أخاف إن أنا خبّرْتُه أن أقتُلَه

قيس : بشر

بشر : لَبّيك قيسُ

قيس : من أين يا بشرُ ؟

بشر : من الحىّ

قيس : ما حوادثُ عامرْ ؟
كيف أمى يا بشر ؟

بشر : برّحها الشوق

قيس : وأهلى . .

بشر : حنينهم متكاثر

قيس : ولِداتى من فتيةٍ وعذارى ؟

بشر : كلهم شيِّقٌ لعهدك ذاكر

قيس : كيف بيْتٌ لنا بمدرَجةِ الريح ونادٍ على النجوم وسامِر ؟
والنخيلاتُ كيف خلَّفتَها بشر

بشر :

كما هن باسقاتٌ نواضر

قيس :

ومِهارى التى تركتُ صِعاراً ؟

بشر :

كبِرت قيسُ فهى جُردٌ ضوامر

قيس :

عزّت البيدُ ، تُنبتُ السابق الفذَّ وتأتى بفارس وبشاعر !

« يضطرب بشر »

ويح بشرٍ ماذا به ؟

بشر : قيس !

قيس : بشر !

أنت فى نفسكَ الخفيّةِ ثائر

تُشبِهُ الحزنَ والبكى نبَراتٌ لك كانت كضاخكات المراهر

« بشر — الى نفسه ثم الى قيس »

ربِّ ماذا أُجيب ؟ لا شيءَ يا قيس . .

قيس : بل الحزنُ فى مُحيّاك طاهر

ولقد راعنى لك اليوم جِدٌّ من خليعِ العِذار بالأمسِ سادِر

« تعرورق عينا بشر بالدموع »

ماجرى؟ماالذى أثارك يابنَ العم؟ ما هذه الدموعُ البوادر ؟

بشر : قيس لا شيءَ

قيس : بل كتمتَ جليلاً

هذه وَحْمةُ النَّعِيّ المحاذر !

بشر : قيس . .

قيس : لا تَجِمْ ولاتُخفِ شيئا أنا يا بشرُ بالفجيعةِ شاعر

خُلِجتْ قبل نلتقى عينَ اليسرى ورِيعَ الفؤادُ روْعةَ طائر

بشر : أعفِنى! أعفنى! بربك ماأنت على ما أقولُه لك قادر !

قيس : أماتت ؟

بشر : أحل قضتْ أمسِ . .

« قيس وهو — يعمى عليه »

والبلاه !

بشر : لله — ما أشـدَّ المقـادر !

« يمضى بشر فى سبيله »

« زياد — مقتربا من قيس »

هو مغمىً عليه ربِّ أيصحو؟ هل لهذا العذاب يا ربِّ آخر؟

« يصحو قيس »

زياد : تباركتَ يا ربِّ قيسٌ أفاق ؟ صحتْ عينُ وصحا المسمعُ !

رجعتَ لنا قيس

قيس : هيهاتَ هيهات ! من كان فى الرَّجْع لا يرجِـع

لقد بقيتْ خفْقةٌ فى السراج سـيلفِظُها ثم لا يسْطع

زيادُ غداً يلتقى الموجَعون وموعِدنا ذلك البلقـع !

« يشير الى المقابر »

عرَفتُ القبورَ بعَرْف الرياح ودلّ على نفسـه الموْضِعُ

كشكلى تَلمّسُ قبرَ ابنها الى القبر من نفسها تُدْفع

هداها خيالُ ابنها فاهتدت ... وليلى الخيالُ الذى أتبَع
لنا اللهُ يا قلب ! ليلاكَ لا ... نحيبُ وليلاىَ لا تسمع !
فُجعنا بليلى ولم نك نحسَبُ ... يا قلبُ أنا بها نفجع

« نقترب الى القبر باكياً فيكب بوجهه على حجر من أحجاره »

أعينيّ هـذا مكانُ البكاء ... وهـذا مسيلُك يا أدمعُ !
هنا جسمُ ليلى هنا رسمُها ... هنا رَمَقى فى الثرى المودَع
هنا فمُ ليلى الزَّكىُّ الصحو ... كُ يكادُ وراء البلى يلمَعُ
هنا سِحرُ جفنٍ عَفاه الترابُ ... وكان الرُّقَى فيـه لا تنفع
هنا من سنانى كتابٌ طواه ... وليس بناشره البلْقَع
هنا الحادثاتُ ، هنا الأمل الحـــــلوُ يا ليـلَ ، والألمُ المُمتع
طريدَ المقادير هل مَن يُجيرُ ... كَ منها سوى الموتِ أو يمنع ؟
تَزِلُّ الحيـاةُ لسلطانها ... وللموت سـلطانُها يخضَعُ
طَريدَ الحيـاةِ ألا تستفِرُّ ... ألا تسـتريحُ ، ألا تهجَع ؟
بَلى قد بلغتَ الى مَفرَعٍ ... وهـذا الترابُ هو المفزَع

« يظهر الاموى شيطانه من بعيد وينادى »

« أعينى هذا مكان البكاء وهذا مسيلك يا أدمع »

(صفحة ١١٩)

الاموى : قيسُ

قيس : مَن الهـاتِفُ من نادى الشريدَ المُطّرَحْ

الاموى : أنا الذى أوْحى اليكَ حُبَّ ليـلى واقترَحْ

قيس : إذهبْ وإن لم أدْرِ رُو حٌ أنت أم أنت شبَحْ

إذهبْ فلستَ صالحا وأىُّ شـيْطانٍ صلُحْ

كنتَ قرينَ السوء لى وكنتَ شرَّ من نَصَحْ

لولاك ما بُحتُ بما خدّش ليلى وجرَح

كأنه فى عِرضها زيتٌ على الثوب سَرَح

الاموى : أفقْ قيسُ

قيس : سِرْ خَلِّنى ياخيـال ومَنْ بالخيال لمن لم ينَمْ

الاموى :

حنانيْكَ قيسُ أقِلَّ العتابَ ولا تَسكبنَّ دموعَ الندمْ

تفرّدْتَ بالألم العبقرىِّ وأنبغُ ما فى الحيـاة الألم

مُريبُك يا قيسُ فوق التراب وأنت مع النَّجمِ فوق التُّهَم

أخذتَ سبيلَك نحو الخلود وليس الخلودُ سبيلَ الأُمَم

قُم اهتِفْ بليلى وشَبِّبْ بها وخَلِّ التقاليدَ وانسَ الحُرَم

وطِرْ فى الهواء طليقَ الجناح ... وسِرْ فى الأديم طليقَ القدم
فلو أنصفَ الناسُ خلَّوْ كما ... كتَركِ الوفود حمامَ الحَرَمْ
قُم ابسُطْ جناحَك فوقَ القِفار ... وطِرْ فى الوهاد ، وقَعْ فى الأكم
واترِعْ من الوتر العبقرىِّ ... سَماءَ القصور وأرضَ الخِيَم
وألِّفْ على الحب ستىّ القلوب ... وأرسِلْ بسرِّ الجمال النغم
تَغَنَّ بليلى ونُحْ بالغرام ... وبُثْ الصبابةَ واشكُ السقَم
فلا خيرَ فى الحب حتى يَذيعَ ... ولا خيرَ فى الزهر حتى يَنِمْ

قيس : أقوم ؟ . . . . هات قدَما
أقول ؟ . . . . أعطى دما
أما ترانى هيكلاً محطماً مُهَدَّما !

« يختفى الشيطان ويستمر قيس »

يارَبِّ قيسٍ هل نعيتُ وهل جرتْ ... كأسٌ تدورُ على النفوس مَشاعُ
أوْلا فما بالى أنوءُ بهيكل ... للموت فيه وللحياة صِراع ؟
اليومَ آذننا القضاء بحكمه ... مالى ولا لك ياحياةُ دفاع
راجعت فى الموت الحياةَ وعادنى ... فى النزْع يا ليلى اليك نِزاع

كيف الوَداعُ من الحياة ولم يُتَحْ ... لىَ منك ياليلى الغداةَ وَداع
هيهات لم تعدِمْ شذاكِ قرارة ... حولى ولم يَعدِمْ سناكِ يَفاع
وعلى سماء البيد منكِ بشاشةٌ ... وعلى رمال البيد منكِ شُعاع
وكأن كل ضبابةٍ دون الضحى ... قسَماتُ وجهك دونهن قناع

« يمر به ظبي سارح فيتامله قليلا ويناجيه »

ياظبى بَكِّ من افتداكَ بماله ... إذ أنت عانٍ تُشترَى وتُباع
وأباح طفلَك ماءه وطعامَه ... اذ هنّ عَطْشَى بالفلاة جياع
ياقاعُ كن نعشى وكن كفنى وكن ... قبرى وقُمْ فى مأتمى ياقاع
واجمَعْ لتشييعى الظّباء، ومَنْ رأى ... ميتًا بأسراب الظباء يُشاع
أترى أموتُ كما حييت مُشرَّدًا ... لا الأهلُ من حولى ولا الأتباعُ
وأبيتُ وحدى لا الوحوشُ أوانسٌ ... حولى هناك ولا الظباء رِتاع ؟

« تتخاذل سيقان قيس فيتلقاه زياد ويظهر »
« ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعاً باكياً »

زياد : قيسُ لا بأسَ عليكْ ... أنا ذا بين يديْكْ

قيس :

نفسُ اطمئنى الآن لستُ وحدى ... قد حضَر الذى يَخُطُّ لحدى

ويُرْشِدُ الحىَّ الىّ بَعـدى زيادُ أنتَ المُشْفقُ المُفدّى
لم أنفرِدْ الا رُؤيتَ عنـدى

« يتين شيخ ابن ذريح »

زيادُ ما داكَ منـــذا يبكى وراءَ الضريحِ
إنى أعارُ على القبر من عريبِ الجُروحِ

زياد : لا تخشَ يا قيسُ منه فانه ابنُ ذريحِ

ابن ذريح :

يا ليلَ قبرُكَ رَبوةُ الحُلْدِ نفَحَ النعيمُ بها ثرى نجدِ
فى كل ناحيةٍ أرى مَلَكا يتنفسون تنفُّسَ الورد
لبسوا الجُمانَ الرَّطْبَ أجنحةً وتناثروا كتناثُرِ العِقد
وتقابلوا فعلى تحيّتهم مِسْكُ السلام وعَنبرُ الرد
وكأن نجواهم وسُبحَتَهم صَوْتُ الغمامة أوصَدَى الرعد
نفحاتُ طِيبٍ ههنا وهنا ما للرياض بهن من عهد
يا قيسُ صبرا ههنا مَلَكٌ ذِبْحُ الصبابة مُشهَدُ الوجد
أصحُ انتبهْ واطرَحْ بعينكَ فى بَهَجِ السماءِ وحُسْنِ ما تبدى

قيس : أين السماء وأين مُحتَضَرٌ طلَعتْ عليه الأرضُ باللَّحْد

فى كل ناحية أرى ملكا يتنفسون تنفس الورد

(صفحة ١٢٤)

السهدُ عذّبنى وذى سِـنةٌ أجِدُ الشفاء بها من السُّهد
ولقـد أقولُ لمن يُبَشِّرُنى بالخُلد ما أنا داخلٌ وحدى
لو أن ليـلى فى النعيم معى أو فى الجحيم تساويا عندى
ليلى النعيمُ وقد ظفِرت بها فاليوم نرقُدُ فى ثرى نجـد
إنى أحبُّ وإن شقِيتُ به وطنى وأوثِرهُ على الخُلد

« يسمع صوتا ضئيلا كأنما هو خارج من القبر »

الصوت : قيس
قيس : مَنِ الصوتُ ويحى أبى سِحرُ
الصوت : قيس
قيس : زيادُ اسمعْ وأصغِ يا بِشرُ
الصوت : قيس
قيس : سمعتُ اسمىَ يلفِظُه القبرُ
الصوت : قيس
قيس : تنادينى من قبرها باسمى
لبيّكِ يا ليـلى بالروح والجسم

« يدخل فى دور الاحتضار الاخير »

هل أسى الموتُ حِراحينْاوهل قرّب الدارَ وهل لمّ الشتاتْ؟

أصوات: قيس ، ليلى

قيس : رَبَّةٌ فى أُذُنى ردّدتْ قيسَ وليلى الفلَواتْ

نحن فى الدنيا وإن لم تَرنا لم تمُتْ ليلى ولا المجنونُ مات

« ســـــتار الختام »

نظرات تحليلية

تمهيـــــد

اختلف الرواة فى مجنون بنى عامر ، فى اسمه وفى شخصه ، وفى حياته وموته ، وفى قصة هواه أهى موضوعة . لها بها قوم وتداولها آخرون ، أم هى مأساة حقيقية ، ومهما يكن فقد أصبحت قصة المجنون فصلا خالدا فى تاريخ الأدب العربى فيه روح شعرية ناضرة ، تحدث الأجيال عن أسمى وأعلى مثل للغرام البدوى القوى العفيف وهذا ما يعنينا حيال هذه الرواية الجديدة

هيكل الرواية

اختار المؤلف لمجنون بنى عامر اسما واحدا من بين الأسماء الكثيرة التى اختلف فيها الرواة ، هو « قيس بن الملوّح » ثم كنّى عنه فى بضعة مواضع بأبى المهدى ، واختار لحياة قيس من بين رواياتها

المختلفة ، أسلسها وأجراها مع المنطق : أن قيسا وليلى نشآ فى بيتين من أشرف بيوت بنى عامر ، فتعارفا طفلين ، فتوادّا ، فاستحالت مودتهما غراما مع الأيام . ثم شبّ بها قيس فى شعره فحيل بينها و بينه نزولا على ما سوف ترى من سنة البادية ، فزفت إلى غيره ، فاتقد هواه واتقد حتى أشرف بعقله وجسمه على حال هى الجنون أو تكاد

فأما شرف بيتيهما فتراه حيث يتحدثون عن قيس فيقولون فى غير موضع واحد إنه «سيد من عامر وابن سادات» وحيث يتحدثون عن ليلى فيقولون عنها «عقيلة الحمى» و ينادون أباها « ياسيد الحمى »

وأما مودتهما طفلين فاليك عليها شاهدين من عدة شواهد تراهما فى كلام المجنون :

« فكم قبلة ياليل فى ميعة الصبا وقبل الهوى ليست بذات معان »
« أخذنا وأعطينا اذا لبهم ترتعى و إذ نحن خلف البهم مستتران »

***

« هذه الربوة كانت ملعباً لشبابينا وكانت مرتعاً »
« كم بنينا من حصاها أربعاً واثنينا محونا الأربعا »

« وخططنا فى نقا الرمل فلم تحفظ الريح ولا الرمل وعى »
« لم تزل ليلى بعينى طفلة لم تزد عن أمس الا إصبعا »

وأما هواهما ، وكيف حبل بينهما ، فأنظرنا قليلا نقص عليك نبأه فى شىء من التعميم والأطناب

لمحة سياسية

كان الحسين بن على كعبة القلوب والأبصار فى جزيرة العرب ، بعد أن قتل أبوه على ، ومات أخوه الحسن ، وانتهت خلافة الاسلام الى معاوية بن أبى سفيان

أصبح معاوية أمير المؤمنين ، وانداح السلطان عن بوادى العرب الى حواضر الشام ، واستقر الحكم الجديد فى دمشق تاركا مكة وما يليها تحت ولايه مروان بن الحكم فى هذا العصر عاش المجنون فى بادية نجد أو قيل إنه عاش

ما كان فى الحجاز وما يليه يومئذ مسلم يستطيع أن يبتسم للزمن الجديد وللدولة الجديدة ابتسامة من أعماق نفسه ، وهو يرى الدين الذى هشت له عاطفته وقلبه ، وامتلأ منه يقينه وإيمانه ، تعرض له

الدنيا التى أقبلت على دمشق محمولة على أسنة بنى أمية وأحلامهم فتنقله من حيث كان يراه هذا العربى فى مكة ميزان العدل وآية الزهد والورع ، الى حيث قدر له هذا العربى أن يكون فى دمشق ملكا دنيويا

وكذلك ظل الحسين قائما فى نفوس الناس هناك صورة مقدسة لبداوة الاسلام ، تستمد أنضر ألوانها من صلته القريبة بجده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بنوته لرجل كان أشد الناس زهدا واستصغارا لدنياه ، وكذلك ظهرت بلاد العرب وقلبها يخفق باسم الحسين ، ولسانها المعلول إما منافق يترضى الحاكم الجديد ، و إما خائف تسنح له الفرصة فيهتف باسم الحسين فى معزل عن العيون والأرصاد

قدّمَت ليلى الى أترابها فى مجلس من مجالس السمر ، ابن ذريح على أنه رضيع الحسين ، فادما من يثرب يشفع عندها لصديقه قيس . فالت عبلة لجارها بشر :

« أتسمع بشر : رصيع الحسين ، فديت الرصيعين والمرضعه .»

« وأنت إذا ما ذكرنا تصامت . . . . . »

فانظر كيف يجيبها بشر وكأنه أهين :

« . . . . . لا حاهلا موضعه »
« ولكن أخاف امرأ أن يرى على التشيع أو يسمعه »
« أحب الحسين ولكنما لسانى عليه وقلبى معه »
« حبست لسانى عن مدحه حذار أمية أن تقطعه »

ثم ترى الحسين فى موكبه بين مكة والمدينة ، فاذا الحادى يغنى:

« يا نجد . . . . . »
« سر فى ركاب الغمام ليثرب »
« هذا الحسين الأمام ابن النبى »

وإذا عامل من عمال بنى أمية ، هو نصيب كاتب ابن عوف أمير الصدقات فى الحجاز ، ينسى فى جلالة هذا الموكب نفسه ومكانه من أمية ، فيجيب زيادا والغصب آخذ منه ، إذ يسأله « من لواء الموكب ؟ »

« قد بين الحادى فقل أصم أنت أم غبى »
« هذا منار العرب هذا الحسين ابن النبى »

« هـذا سنا جبينـه ملء الوهاد والربى »

وإذا ابن عوف أشـد من صاحبه حرصا على نفسه ومكانه من أمية ، وإذا هو أكثر منـه تقديرا لسلطانهم ؛ وكأنى بك وقد أشفقت على نصيب أن يصيبه غضب مولاه ، لـكن الواقع أن مولاه لا يغضب منه ولا يقسو عليه وإنما يكفيه فى أمره عتب تافه يهمس به اليه :

« نصيب صه لا تسلـكن بنا مسـالك التهم »

« إحذر جواسيس ابن هند وعيون ابن الحـكم »

وكأنه فى هذا العتب الهامس الرقيق يشارك عامله فى تقديس الحسين ، بل هو يجهر بهـذا الحب جهرا ضمنياً إذ يقول لزياد عن غيبوبة المجنون :

« زياد ابطر فما أنفك صريع الوجد والذكرى »

« كما مر بنا الركب الحسينى به مرا »

« فلم يشغـل له بالا ولم يوقظ له فكرا »

ثم يعود نصيب فى موقف آخر فيذكر الحسين عائبا ، لـكنه

يذكره فى هذه المرة بينه و بين نفسه ، لا يخشى سطوة أمية ولا عتب ابن عوف « ولا عيون ابن الحكم » فتراه فى هذه المرة يلعن الزمن و يلعن الوطيفه إباء على مولاه أن يتشبه بالحسين فى الشفاعة لعاشق ، إذ يقول :

« يا دهر در بما تشا ويا حوادث اهزلى »
« ويا وطيفة اعزبى ويا جراية ارحلى »
« يبغى ابن عوف أن يكو ن كالحسين ابن على ! »

وهنا تخرج ليلى أو يخيل اليك أنها خارجة عن تلك القاعدة التى وضعناها لسكان البادية ومنزلة الحسين من نفوسهم ، كما تخرج عنها فى قول ابن ذريح :

« ألأنى أنا شيعى وليلى أموية ؟ »

ويخرج معها قيس فى هذا البيت ، أو كذلك يخيل اليك :

« ليلى على دين قيس فحيث مال تميل »

على أنه بالرغم من كل ما ذكرنا فى هذه اللمحة السياسية ، يجب أن نعود فنقول إن هذا التشيع الحزبى لم يكن له أثر كبير فى

حياة أولئك العرب البادين ، ولم يظهر فى الرواية الا فى هـذه بضعة مواقف ، ثم غطاه المؤلف بنزعة أقوى منـه أثرا فى حياة قاطن الصحراء ، نزعة تعبر عنها ليلى اذ تقول :

« ولم نصطدم بهموم الحياة ولم ندر لولا الهوى ماهيه »

ويعبر عنها زياد إذ يقول :

« سيطر الحب على دنيا كمو كل شيء ماحلا الحب عبث »

عادات العرب

أظهر ما يضرب العين فى هـذه الرواية من عادات العرب تلك السنة التى جروا عليها أن يحولوا بين العاشق ومعشوقته إذا تسبب بها وأعلن هواه والتى يقدمها المؤلف فى أكثر من موضع يقول فى أحدها

« ومن عادة البيد نفض الأكف من العاشقين إذا تسببوا »

والتى يعللها لك المؤلف بحشية العـار والفصيحة فى أكثر من موضع كذلك يقول فى أحدها والحديث عن ليلى بين قيس وشيطانه :

« لولاك ما بحت بما حدش ليلى وجرخ »

« كأنه فى عرضها زيت على الثوب سرح »

والمؤلف يرجع بهذه السنة الى شرع جاهلى قديم ، ترى أقوى الشواهد عليه فى قوله إن ليلى إذ ضربت بعرامها الأرض إنما كانت :

« تصون القديم وترعى الرميم وتعطى التقاليد ما توحى »

« وبالجاهلية إعجابها . . . . . »

ثم ينحدر المؤلف بهذه السنة قوية مع الزمن حتى تعرض لها حضارة الاسلام فتوهن من قوتها ، وترسل فى جبروتها نفحة من روح التسامح ، تهمس تارة على شفتى رحل مجهول أن ليلى إذا كان إعجابها بالجاهلية فقد « قل بالسلف المعجب » وتنادى حى ليلى تارة على لسان شخص آخر :

« هبوه حن بليلى ليس العرام بجرم »

ثم تتغنى تارة أخرى على ألسنة الصغار :

« إيه يا شاعر نجد ونجى الظبيات »

« أضمر الحب وأبد لأعف الفتيات »

ثم تتحرك هذه الروح فتستشفع الحسين فى عاشق ، وتستشفع

بن عوف فى عاشق آخر ، ثم تقوى هـذه الروح فتسلط الندم والعذاب والتعاسة على هذه الفتاة التى « تصون القديم وترعى الرميم وتعطى التقاليد ما توحب » تجعلها « مأمورة يقود لسانها شيطان » وطعينة « بسكين من العـادة والوهم » وتتركها فى بيت « هو القبر حوى ميتين حارين على الرغم » ثم تسلط عليهـا الداء « يلتهم هيكلها » واليأس « يصدع قلبها » والموت يسلبها الحياة

على أن هذه الروح الجديدة التى دبت فى عتق هذه التقاليد لم تزلزل سلطانها جميعاً ، وحسبك ما رأيت من هدر دماء قيس ترضية لهـذه التقاليد حتى تعلم أن هذه الروح كانت فى مولدها تعمل عملها لبطىء فى سكون

ثم يتلو هذه العادة سلسلة من أحواتها الصغار منها اسـتدفاع لحذر بنداء الحبيب ، وعلاج الغيبوبة بالتكبير فى أذن المعمى عليه ، وإيقاد النار وراء الضيف الثقيل وفى هذه يقول ابن عوف :

« نزلت فلم أكرم فهل أنت متبعى وقومك نار الطرد حين أميل »

ومنها تصفيق المسافر وارتداؤه الثوب مقلوباً إذا ضل الطريق ،

ومنها - ونقرر هذه العادة بشيء من التحفظ — إطلاق الحرية للفتاة في اختيار القرين كما يبدو في قول المهدى لفتاته

« هو الحكم يا ليلى ما تحكمين خذى فى الخطاب وفى فصله »

فقد تكون ثقة الرجل من رأيها وقوتها وحرصها على حرمة التقاليد ، هى التى جعلته يقامر مطمئناً بهذا الاطلاق ، وقد يكون هذا التحفظ لا محل له اذا وضعناه فى الميزان مع قول من يقول :

« وليلى ابنة الشيخ مارأيها اما من حساب لها يحسب »

حياة البادية

فى هذه الرواية صور متفرقة من السهل أن نؤلف منها يوماً من أيام البادية بسيط المطامع فى حاه الحياة . . . ماذا يفعل البدوى فى يومه هذا وما هو الا ظل مصعر من حياته جميعاً ؟ يأكل من طعامه البسيط وتسميه هند « ما طهت الماشية » ويبسط لك المؤلف أحفل موائد هذا الطعام البسيط فى قول المهدى :

« هو الضيف ياليلى هاتى الرطب

وهاتى الشواء وهاتى الحلب »

« وهاتى من الشهـد ما يشتهى

ومن سمنـة الحى ما يطلب »

ثم يرعى قطعانه يأكل منها ويكتسى من صوفها بما تغزل يداه ثم يصيد أحياناً لرياضته وأحياناً لطعامه وأحياناً ليدفع عن نفسه ضراوة الوحوش وفى ذلك تقول ليلى :

« وآناً نحف لصـيد الظبا ء وآناً الى الأسد الضارية »

ثم يحب وسنعرض لهذا الحب بعد قليل ، ثم يؤمن بالدين والجن والسحر وتراها مجتمعة على لسان ليلى إذ تقول :

« لا الحواميم تصرف الجن عنا حين تتلى ولا رقى السحر تجدى »

ثم أخيراً يحرص على شرفه وعرضه ، ويدفع عنهما بالروح بغى الآثمين ، وخير ما يبدو لك هـذا العنصر القوى فى حياة البدوى عند ما ينادى المهدىُّ رجل من رجال الحى :

« ذد عن عقيـلة الحمى وامنع حياض الترف »

« نحن كعثمان وليـلى بيننـا كالمصحف »

غرام البادية

تتحدث ليلى عن البادية فتقول لابن ذريح :

«أكنت من الدور أو في القصور ترى هذه القبة الصافيه »
« كأن النجوم على صدرها قلائد ماس على غانيه »

ثم تستأنف حديثها فتقول :

« لها قبلة الشمس عند البروع وللحضر القبلة الثانيه »

وتتحدث هند عن هذه البادية نفسها فتقول :

« كفى يا ابنة الخال هذا الحرير كثير على الرمة البالية »
« تأمل ترى البيد يابن ذريح كمقبرة وحشة خاويه »
« سئمنا من البيد يابن ذريح ومن هذه العيشة الجافيه »
« ومن موقد النار فى موضع ومن حالب الشاة فى ناحيه »
« وراغية من رواء الخيام تجيب من الكلأ الثاغيه »
« وأنعم بيثرب أو بالعراق أو الشام فى الغرف العاليه »
« مغنيكمو معبد والغريض وقينتنا الضبع العاويه »

« وقد تأكلون فنون الطهاة ونأكل ما طهت الماشيه »

وشيء واحد فى حياتى هاتين الفتاتين يعزى اليه هذا التناقض البيّن فى الرأى والتقدير ، أن ليلى فتاة محبة محبوبة ، وأن هنداً ... ليست هند كما أرادها المؤلف الا قلباً مغلقاً لم تمسس قفله يد الساحر !

أولئك قوم من سكان البادية يعيشون فى هذا العالم المنبسط ، بين سمائه الصافية ورماله المترامية وأفقه البعيد ، كأنما يعيشون فى فراغ يمثلون فيه قصة صغيرة موجزة من قصص الشرية الأولى حيث القلب خلى والمطمع ضئيل واللهو ساذج والرزق محدود ، حيث تمر الحياة كأنها فى بساطتها وتكرارها وتشابه مناظرها بياض نهار وسواد ليل ، نهار ممل وليل مضجر طويل ، ودون هذا وتحس هند أنها تعيش فى قبر تتغنى الضباع العاوية فيه !

فى وسط هذا الملل والضجر قد يتفتح قلب البدوى للهوى ، فاذا هو الهم الشاغل والفصل الحافل فى حياة البدوى ان لم يكن حياته كلها ،

لقد يمنح الحضرى لهواه ركنا من قلبه الزاخر بهموم الحضارة وأطماعها ولهوها ولعبها ودنياها ، يمنحه هذا الركن منحة ، وهو

واثق أنه الركن الضيق المنزوى ، وأنه الركن الذى تصيبه فواجع التضحية بين العاطفة والمادة .

أما البدوى فلا يمنح من قلبه لهواه شيئا وإنما يسلمه هـذا الهوى من قلبه كل شىء ، كلما عر فيه المال ، وما أكثر ما يعز منال الهوى فى البادية ، كلما اندفع صاحبه وراءه اندفاع المتكالب المجنون

فهل من عجب بعد ذلك أن ترى ليلى البادية ما تراها ، وهل من عجب أن تقول عن نفسها وقومها :

« ولم نصطدم بهموم الحيـاة ولم ندر لولا الهوى ماهيـه »

« ويقلنا العشق والحاضرات يقمن من العشق فى عافيه »

وهل من عجب أن يخامر هذا الداء قبساً فيقول :

« سجا الليل حتى هاج لى الشـعر والهوى

وما البيـــد الا الليل والشعر والحب »

« ملأت سماء البيد عشقاً وأرضها

وحملت وحـدى ذلك العشق يا رب »

دع هـذا الهوى فى قلوب أصحابه يزخر ويتقد ، وعد بنا إلى البادية . . .

ما طنك بأرض يصخم فيها كل شيء ، يزأر الأسد فيرعد زئيره ، ويخفق القلب فيقبل خفوقه ، ويعثر العاشق عثرة لسان — كما تعثر لسان قيس بليلة الغيل — فاذا عثرته فصيحة تذل قبيلة وتملأ بذلها أفواه الكبار والصغار ؟ . . . ثم أخيراً ما طنك بحب يعيش فى هذا المحيط ؟ أيستطيع هذا الحب الا أن يكون « عذريا » تحار الرقى فيه ؟ أيستطيع هذا الحب الا أن يعف ويتصوف حتى تفتح له نافذة فى هذه الأقفاص ؟

قيس

ليست حياة قيس فى الرواية إلا زفرة متصلة تتردد فى قلب مغرم جريح

ولكنا نعرض لقيس من ناحية أخرى ، قد تكون عارضا على حياته لا يدله فيه ، وقد تكون فى حياته صدى هذا الهوى المجاح ، نعرض له من حيث اتهم بالجنون ولقب به ، لنرى حظه من حقيقة العقل أو حقيقة الجنون

الناس يصمون قيسا بالجنون أحيانا ، ثم يستقذونه من هذا

الجنون أحيانا ثم يأخذهم فى أمره كثير من الشك والحيرة أحيانا أخرى ، وهم فى هذه الثلاثة الأحوال يتحدثون عن قيس فى شىء من يقين الواثق بصدق ما يقول . والمؤلف حفظه الله أشار الى ذلك ، أنظر الى منازل يقول عنه لزياد :

« تؤدبنى زياد وأنت ظل لمجنون وراوية لهاذى »

ثم يعود مرة أخرى فيسأل الناس :

« إن قيسا كامل فى عقله أو آنستم على قيس الجنون ؟ »

فيجيبه الناس مقسمين : « لا ورب البيت »

وتراه فى مرة ثالثة حائرا فى أمر قيس يتحدث عنه فيقول :

« نشرد مستعطفا فى البلاد وجن فما ازداد الا نهى »

بل مالى استشير لك خصوم قيس فى عقل قيس ، اليك ليلى نفسها ، إنها فى موضع واحد تقرر من عقل قيس ما يقرر الناس ، وتنفى عنه ما ينفون وتحار فيه كما يحارون إذ تقول :

« وقيس ذوحنة و إن زعموا جنونه مدعى ومصطنعا »

« تحير الناس فى جنون فتى لا عقل الا بشعره ولعا »

وهذا قيس كذلك يقول مرة :

« من مبلغ أمى الحزينة أن عقلى اليوم ثاب »

وفى مرة أخرى يقول :

« عساهم لا يقولون فتى مشترك اللب »

وفى موضع آخر يقول ويحار فى أمر نفسه كما يحار فيه الناس :

« ليلى نداء بليلى رن فى أذنى . . . . . »

« ليلى لعلى مجنون يخيل لى لا الحى نادوا على ليلى ولا نودوا »

بعد تلك الاشارة نظر المؤلف الى ما يصدر عن قيس من أفعال وأعمال

فى الفصل الأول أغمى على قيس بين يدى ليلاه مرة ، فى لحظة تحرجها خشية الأب ، ولذعة النار ولقاء الحبيب فى معزل . . . وقبل هـذا الاغماء كان قيس يتحدث لليلى حديث العاشق العاقل ، فأحس أن عينيه قد عامتا ، وأن ساقيه لاتحملان جسده ، ثم أخذته الغيبوبة فظل أسيرها لحظات حتى أفاق

« كالفنن الذاوى نحولا وكالمعيب اصفراراً »

فاذا صحا عاد فتحدث الى المهدى حديث العاقل وجادله جدال العاقل لا يكدر صفاء عقله وسواس من وساوس الجنون

وفى الفصل الثانى أعمى على قيس للمرة الثانية ، فى لحظة حرجة أخرى ، أحرجتها لوعة الذكرى كما أحرجها عذاب النفس ، كما أحرجها نعى الصعار . . . وقبل هذا الاغماء كذلك كان قيس يحدث نفسه حديث العاقل ، يقدر الاساءه اليه ، ويقدر شخص المسىء ، ويعفو عن هذه الاساءة كما يعفو العاقل الغفور الرحيم .

« قيس لا ـ سامح صعاراً لا يحسون الخطيئه »

« انهم فيما أتوه ببعاوات بريئه »

« لقنوها كلمات نزهات أو بذيئه »

ثم تأخذه الغيبوبة فينسى ما حوله ، ويطل أسيرها لحظات حتى يفيق منها فيتحدث عن هواه حديث المحب العاقل يسمع اسم ليلى على ألسنة الناس فيعار ويناقش ويحيل اليه عند ما ينتهى رنين الصوت فى أذنه ، أن هذا الصوت لم يكن إلا هذيان اغماء

« ليلى . . . . . »

« هل المنادون أهلوها و إحوتها أم المنـادون عشاق معاميـد »
« إن يشركونى فى ليلى فلا رجعت جبال نجد لهم صوتا ولا البيد »
« أغير ليلاى نادوا أم بها هتفوا فداء ليلى الليالى الخرد الغيد »
« . . . . . »
« ليلى لعلى مجنون يخيـل لى لا الحى نادوا على ليلى ولا نودوا »

وفى الفصل الثالث يغمى على قيس للمرة الثالثـة ، فى لحظة أخرى أحرجتها خشية الموت وخشية الفشل . . . وقبل هذه العيسوبة كذلك كان قيس يناجى ليلى وحيّها مناجاة العـاقل ويقرر وينفى ويناقش فى منطق سليم ، ثم تدركه النوبة ويعوده الاغماء ، وقبيل أن يتمكن منـه يرى ما لا يراه الناس فى حى ليلى ، يراها هى ولا يحقق غيرها وإن كثر لدى حماها السواد ، وما فى حى ليلى سوى سـيوف مسلولة وأسود مغضبه ، تترقبه لتشرب من دمه وتنتقم منه لقداسة التقاليد ، ثم « يتصاـل ويصفر به مثـل الجرادة » ويكاد يهوى إلى الأرض فيتلقـاه زياد ، وتأخذه الغيبوبة المعهودة ولا نستطيع أن نتعقبه عند ما يفيق

ثم يكون الفصل الرابع فنرى قيسا على مقربة من دار لـيلى

وحيها الجديد ، وفى لحظة لا بد أن تكون هى الأخرى كأخواتها حرجة ، يحرجها الجهد والتعاسة ووعثاء السفر ، وتوقع لقاء الحبيب ، نراه يتصور صورا لا يمكن أن تخطر فى خيال عاقل ، فهو يرى الجن ويصفهم ويتحدث معهم ، ويقول لأحدهم :

« ما أنت إلا صوره فى عصبى مصوره »
« وعبث لو كان عقـــــلى حاضرا لأنكره »

ثم يسترد عقله الكامل بعد هذه الأزمة الحرجة فيناجز غريمه فى ليلى مناحزة العاقل ، ويتهكم عليه تهكم العاقل ، ويناقشه مناقشة العاقل ، ويغار منه غيرة العاقل ، ثم يسلمه غريمه الى ليـلاه ، فاذا حديثه اليها حديث العاقل كذلك ، وادا نجواه منها فى دائرة المنطق السليم ، وإذا غيرته كذلك وغضبـه وكل ما يفعل لا تصدر الا عن محب عاقل غيور

ثم يكون احتضاره فى الفصل الخامس ، حيث يسمع مالايسمع الناس ويرى مالا يرى الناس وما يعنينا هذا الاحتضار أن نعقل فيه أولا يعقل ، فقد يهـذى كل محتضر ويخلط ، وحسبنا مادة للبحث

تلك الفترات القصار التى كانت تتصع بقيس وعقله الى مكان بين بين، لا هو من الموت ولا هو من الحياة

أية صورة من صور العافية أو أية صورة من صور الجنون الذى يعتاد سواد الناس ، تستطيع أن تعطى حيرة الناس فى أمر قيس ، وحيرته فى أمر نفسه ، وتلك الأدوار المتناقضة فى هذه الحياة المصطربة نحو يكون العقل والحواس والحركات فيه أصفى وأسلم ما تكون العقول والحواس والحركات ، ثم غيبوبة يختلط فيها العقل وتنطلق الحواس وتشل الحركات ، ثم كذلك دواليك حتى تنطفىء هذه الحياه ؟ ؟

لاشىء من صور الصحه ولاشىء من صور الجنون ، يستطيع أن يغطى هذه الطواهر ، انما الذى يعطيها ويشتملها جميعاً هو المرض والمرض أنواع .

قيس إذن فى نظر المؤلف رجل عاقل مريض ، بالغ الهوى له فى وطأة الداء ، وليس ضلال الناس فيه ، وليس ضلاله فى نفسه إلا جهلا بهذا الداء كيف يكون ، وتسمية له بأقرب الأسماء اتصالا بهذه

الحياة المضطربة ، فى رأس هـذا البدوى الجاهل بضروب العلل والأدواء ، وأى الأسماء فى هذا الرأس أقرب اتصالا بهذه الحياة من ذلك الاسم القديم المعروف . . . الجنون ؟ ؟ كما أن ضعفه وهزاله كما يبدوان لك — أظهر ما يبدوان — فى قوله عن نفسه :

« أنا الميت يا بشر وإن أخر تكفينى »

ليس هذا الضعف والهزال الا مزيجا من وقدة العاطفة ورمضة الداء

ومن السهل بعد هذا أن تتعقب أخلاق قيس فى الرواية ، إباءه وعزته ، ورفعته وسماحته ، وأثرته وعيرته ، ولست كلها إلا صورة لأخلاق شاعر محب مريض .

ليـــلى

تتلخص حياة ليلى وحبها فى هذه الـكلمات :

« أنا بين اثنتين كلتاهما النار . . . . . »

« بين حرصى على قداسة عرضى واحتفاظى بمن أحب وضنى »

فأما أنها كانت تحب قيسا فقد ظلت تعترف بهذا الحب طول

الرواية تارة بينها و بين قيس ، وتارة أخرى بينها و بين الناس ، وأما أنها كانت تحمل من هواها ما يحمل قيس من هواه ، وتصون منه ما يصون ، وهى و إن ألحت فى التصريح به ، فقد كان سلطان التقاليد البدوية عليها أقوى من سلطان هذا الغرام ، وقد رضيت أن تقتل نفسها وتقتل هواها وتخيب فى قيس شفاعة الشافعين حرصاً على حرمة هذه التقاليد

ولقد تختلط هذه الحقيقة المؤكدة بكلمة نطقت بها ليلى ، إذ يقول لها أبوها وقيس مغمى عليه فى داره ، وليلى تستنصر له وتستغيث « يرانا الناس ياليلى » فتجيبه « أب أنف الناس من فكرك »

كذلك تبدو ليلى كأنما تحتقر الناس وما يقولون ، لكنها لا تلبث أن تستدرك هذه العثرة فتقول ، وتحشى من سلطان التقاليد ما كانت دائما تخشاه :

« هنا لا تقع العين على غيرى ولا غيرك ! »

والى جانب هذا الحرص على كرامة التقاليد منحها المؤلف قوة فى الرأى وعناداً فيه ، قد يكونان أثر هذا الحرص فى نفسها وتراها حيث يقول عنها قائل :

« أراها وان لم تخط الشباب عجوزا على الرأى.لا تغلب.»

وحيث يستغل أبوها فى نفسها هذه القوة ، فيدارى ابن عوف على حسابها ، و يطلق لابنته الحرية أن تتروج من قيس أو من سواه ، وهو مؤمن كل الايمان بقرارها الأخير . وحيث يستعل زوجها ورد فى نفسها هذه القوة كذلك فيفتح بيته لغريمه راضياً ، و يترك شرفه تحت رحمة هـذا الغريم راضياً ، وهو موقن كل اليقين أن شرفه — ومن دونه هذه القوة — مصون لا يخشى عليه عدوان . وحيث تبرهن ليلى على هـذه القوة الـكامنة فى نفسها برهاناً قوياً فى آخر مواقفها وقيس ، ترى فيه مورد الهوى صافياً ممهد السبيل ، ثم تأباه على نفسها ، وتموت عطشى حرصاً على العرض والشرف وكرامة التقاليد .

المهـــــدى

هذا الرجل طريدة أخرى من طرائد التقاليد البدو ية فى هذه الرواية ، لـكن طاعته إياها رزينة لا تعرف العنف ، طاعة تخفف منها عاطفة الحنان على ابنته إذ يقول :

« أخاف الناس فى أمرى وأخشى الناس فى أمرك »

« وكم داريت يا ليلى وكم مهدت من عذرك »

وعاطفة الرفق بشاب من ذويه زلت به هذه التقاليد إذ يقول :

« دم الود والقربى وإن كان ظالما عزيز علينا أن نراه يسيل »

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
١٠ر٠٠٠ / ٣١ / ١٩١٦